الصوفية والفقهاء في اليمن

تأليف

عبد الله محمد الحبشي

١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

وبعد فإن إهتمامى بنزاع الصوفية والفقهاء فى اليمن وهو موضوع هذا الكتاب مرده إلى سببين .

أولهما : الأهمية العلمية للحصيلة الفكرية التى خلفتها معارك الصراع بين الصوفية والفقهاء فى اليمن إذ أن أبطال هذه المعارك كانوا من خيار القوم وخاصة الفقهاء المتصوفون منهم تلك المعارك التى اتخذت شكل الفر والكر ولم يدم فيها النصر لهذا الفريق أو ذاك اظهرت معالم النزاع وحددت ملامح القضايا التى دارت فيها حلبة الصراع وصبغت الحصيلة الفكرية من الثقافة بالوان الفقهيه والصوفية .

ثانيهما : ان هذا النزاع غطى فترة زمانيه ليست بالقصيرة فى تاريخ اليمن والذى أعطى هذا الجانب أهمية إن آثار هذا النزاع لم تقتصر على النواحى الفكرية فحسب وإنما تعدتها إلى الناحية السياسية ذلك لأن الولاة كانوا هم قادة هذه المعارك وكان موقفهم هو الذى يرجح هذا الفريق أو ذاك وإلى لارجو ان الون بهذا الجهد المتواضع قد اسهمت فى إعطاء صورة وان كانت مختصرة عن ذلك الصراع وأبطاله وآثاره كما أرجو من الله ان يوفقنى ويوفق

غيرى للعودة إلى هذا الموضوع وإعطائه الاهمية التى يستحقها من الدراسة والتمحيص واستخلاص ما يفيد هذه الامة ويعمق جذورها لكى تنطلق إلى المستقبل بفكر ووعى وأصالة تقيها من مهاوى الانزلاق والتردى فى اعماق التقليد الأعمى ولا انسى بهذه المناسبه ان اشكر مكتبة الجيل الجديد الغراء لما بذلته من جهد فى سبيل طبع هذه الدراسة المتواضعة وإخراجها إلى حيز الوجود راجيا المولى ان ينفع بها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلف

فهرس أبواب الكتاب الرئيسية

فى التصوف اليمنى وتاريخه

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ التصوف من خلال أعلامه

دخل التصوف الإسلامى اليمن من خلال الزهد الذى دعا إليه الاسلام وكتابه العظيم وقد كان التصوف نتيجة حتمية لما انتهى إليه القوم من الإغراق فى العبادة والتقشف . على أننا لا نريد أن نعود بالتصوف فى اليمن إلى أصول ترجع إلى ما قبل الإسلام كما هى العادة عند أكثر الباحثين فى مثل هذه الدراسات، إذ التصوف إذا كان من حيث هو زهد وعبادة وتقشف فهو معروف عند أكثر الامم وهو من حيث مادته ظاهرة إنسانية عامة لا تنفرد بها أمة من دون أمة . وإنما نعنى بالتصوف هنا هـذا الذى وصلنا فى صورته الاسلامية بما له من أتباع وتقاليد وآداب .

وقد كانت البداية للتصوف فى اليمن بداية يشوبها التعمم والشمول فلا نستطيع أن نحصرها فى شخص واحد نسمه بصبغة التصوف وإنما هى فى صفة جماعية يشترك فيها كثير من القوم . وقد تفشت صبغة التصوف خلال القرن الأول الإسلامى وكان أهل اليمن هم أكثر الناس معرفة لحقيقة الاسلام وما أتى من أخلاق تركت آثارها فى نفس المسلم اليمنى ولا غرابة فى ذلك وقد تفرس رسول البشرية هذه الظاهرة فى أهل اليمن فقال (أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً

وأرق أفئدة الايمان يمان والحكمة يمانيه)[1] وهذه الرقة التي عناها الرسول صلى الله عليه وسلم هي بدرة التصوف في النفس البشرية .

ومع كثرة المتصوفين من الرعيل الاول في اليمن سنكون مضطرين إلى تعيين بعض الأشخاص - حتى لا يطول البحث - فمن هؤلاء جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم من الذين يرجعون بأنسابهم إلى أصول يمنية كأبي موسى الأشعري الذي ولد بوادي زبيد وكان من زهده وعبادته أنه سأله معاذ بن جبل كيف تقرأ القرآن فقال أقرؤه في صلاتي وعلى راحلتي ومضطجعاً وقائماً وقاعداً أتفوته تفوقاً[2] . ويقال أنه صام حتى أصبح كأنه خلال فقيل له لو أرحت نفسك فقال هيهات إنما يسبق من الخيل المضمرة . ومن وعظه قوله (أيها الناس أبكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت) توفي رضي الله عنه سنة ٤٤ هـ .

ومن زهاد اليمن في عصر الصحابة الصحابي الجليل أبو هريرة عبد الرحمن ابن صخر كان من دوس وولد باليمن ونشأ يتيماً فرحل إلى المدينة ولقى النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول (كنت اعتمد بكبدي على الارض من الجوع وإني كنت أشد على بطني من الجوع) وقد ظلت نزعة العبادة والزهد ملازمة له حتى آخر أيامه ومن طريف ما يذكر عنه أنه ولاه عمر بن عبد العزيز على ناحية البحرين ثم رآه ابن العريكة مشغولا بالعبادة فعزله وطلبه بعد زمن من العزل وتوفي سنة ٥٩ هـ[3] .

---

(١) أنظر هذا الحديث وتخريجه في تاريخ صنعاء للرازي ص (٦) (هامش) .

(٢) أبو الفرج ابن الجوزي : صفة الصفوة .

(٣) يراجع في ترجمته كتاب . تاريخ صنعاء أعلام النبلاء للذهبي مرآة الجنان اليافعي وغيرها .

ويأتى بعد طبقة الصحابة جماعة من الأخيار اقتفوا آثار السلف حتى سموا بالتابعين لاتباعهم لهم وكان لليمن من هذه الطبقة نصيب وافر من الرجال لا يزالون النبراس المضيء للنسك الاسلامى الخالص فى صورته الحقيقية بعيداً عن المؤثرات الخارجية . فمن طبقة التابعين عمرو بن ميمون الأودى الذى أدرك جماعة من صحابة الرسول (وكان عابدا زاهداً معدوداً فى الأولياء) ويقال أنه حج مائة مرة ما بين حجة وعمرة وهو من حضرموت توفى سنة ٧٥ بالكوفة(١)

وعلى رأس هذه الطبقة التابعى الجليل طاوس بن كيسان أشهر رجال اليمن فى هذه الفترة وقد ترجم له كل من عنى بأخبار الزهاد والاتقياء . ومما ذكروه عنه أنه كان عليه ضريبة يؤديها على أرضه فى كل عام فقيل له أن الوالى سيرفع عنك الضريبة فقال لهم وهل سيرفعها عن غيرى فقيل له لا فأبى ذلك فكان يؤديها كل سنة ومن أقواله الوعظية قوله محذراً من السلطان (لا تنزلنك حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه وجعل عليها حجابه ولكن أنزلها عن باب مفتوح لك إلى يوم القيامة) ومن أقواله (الاسلام شجرة أصلها الشهادة وثمرها الورع ولا خير فى شجرة لا ثمر لها ولا خير فى إنسان لاورع له) . ويؤثر عن طاووس البعد عن المذاهب الطارئة كمذهب الخوارج والمعتزلة وغيرهما توفى سنة ١٠٦(٢)

ومن عباد اليمن وزهادها فى هذه الفترة . وهب بن منبه الذى كان من كبار التابعين أدرك جماعة من الصحابة ورحل إلى مكة فلقى هناك شهرة واسعة ومن أخلاقه التى تدل على علو طبقته فى الزهد والعبادة أنه جاءه رجل فقال له أنى

---

(١) ترجمته فى طبقات الخواص ص ١٠٧ .

(٢) انظر ترجمته فى تاريخ صنعاء ص ٣١٨ وصفة الصفوة ج ٢ ص ١٦٠ والخواص ص ٦١ وغيره .

سمعت فلاناً يشتمك فغضب وقال لم يجد الشيطان رسولا الى غيرك . ويقال عنه أنه صلى الصبح بوضوء العشاء عشرين سنة ومن أقواله (الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء، توفى سنة ١٢٠[1].

ويذكر صاحب تاريخ [illegible] اء جماعة من زهاد اليمن خلال القرنين الثانى والثالث منهم محمد بن يسطام الصنعانى كان زاهدا يعمل الخوص ويفطر على قرص شعير يخلط معه الرماد إذا عجن فيأكل من عمل يده ذلك القرص ويتصدق بما بقى من عمل يده[2].

فى القرن الخامس

فى القرن الخامس تطالعنا عدة أسماء من أعلام التصوف فى اليمن أكثرهم من المناطق المحاذية لناحية تهامه ومدينة تعز كالصوفى الجليل أبو محمد سعود بن الكميت الذى كان سبب تحوله إلى التصوف حادثة وقعت له فمال إلى التصوف واعتزل الدنيا (وكانت الدنيا تأتيه من غير قصد وهو مطرح لها ومتخل عنها ولا يأكل إلا مع أصحابه فى المسجد توفى سنة ٤٣٦[3].

القرن السادس

أما فى القرن السادس فقد ظهر جماعة من الصوفية عرفوا بالفقه واشتهر شأنهم فى كلا المجالين فأنت تجد ترجماتهم فى طبقات الفقهاء كما تجدها فى الكتب التى أرخت الصوفيه ولا تفسير لهذه الظاهرة سوى أن التصوف ظل مندرجا فى

---

(١) له ترجمات فى عدة كتب منها الحلية لأبى نعيم ج ٤ ص ٢٣ وتاريخ صنعاء الرازى ص ٣٦١ وصفة الصفوة لابن الجوزى ج ٢ ص ١٦٥ والخواص ص ١٦٣ .

(٢) الرازى : تاريخ صنعاء ص ٣٠٤ .

(٣) أنظر ترجمته فى الجندى والخزرجى والخواص .

العلوم الإسلامية الأخرى ولم نعرف له تميزا يذكر إلا عندما أصبح له مصلحة وشاراته المتميز بها أصحابه عن سائر أهل المذاهب وذلك فى القرن السابع على الرغم من أن الصوفية فى خارج اليمن قد بدأوا ينفردون عمن سواهم منذ القرن الثالث كما رأينا ذلك فى العراق والشام ومصر ، وعلى كل فأمامى عدة أسماء من أعلام التصوف فى اليمن جمعت بين الفقه والتصوف من هؤلاء زيد بن عبد الله اليفاعى المتوفى سنة ٥١٤(١) ومنهم عبد الله بن يزيد القسيمى المتوفى ٥٢٦(٢) وعمرو بن عبد الله الصرى(٣) المتوفى سنة ٥٥٠ هـ يصفه الشرجى بقوله الفقيه العالم الصالح الزاهد الخ . . . — ومن أشهر الصوفية فى هذا القرن، الصوفى الكبير أبى العباس أحمد بن أبى الخير الصياد(٤) ، كان فى بداية أمره رجلا عامياً من جملة عوام مدينة زبيد فبينما هو نائم فى بعض الأوقات إذ أتاه آت فقال قم ياصياد فصل ومنذ ذلك الوقت أخذ يترقى فى درجات التصوف وصحب الشيخ ابراهيم الفشلى وله أخبار كثيرة فى العبادة والزهد من ذلك ما ذكره الشرجى أنه حصلت له غيبة وهو ساجد فى بعض البرارى فاقام كذلك ساجدا لا يتحرك ولا يشعر بشىء فما أفاق الا وتلفت عينه إلى آخر ما ذكره عنه توفى سنة ٥٧٩ .

القرن السابع

فى هذا القرن نبغ جماعة من صوفية اليمن كان لهم الأثر الجيد فى ابراز التصوف وإظهار هويته من بين سائر الطوائف الأخرى فى المجتمع اليمنى وقد برز

---

(١) ترجمته فى ابن سمره ص١١٩ والجندى والخواص ص١٣٢ والعقد الثمين ج٤ ص٤٨٠ .

(٢) الخواص ٧٦ .

(٣) الخواص ١٠٧ .

(٤) الخواص ١٧ والجندى والخزرجى وتاريخ ثغر ٤ ومرآة الجنان ج ٤ ص ٣٥٨ ولتلميذه ابراهيم بن بشار كتابا فى مناقبه .

فيه خلال هذه الفـــترة الصوفى الجليل على بن عمر بن محمد الأهدل وهو أول المتصو[illegible] من أهل هذا البيت الشهير بتوابغه(١) وقد كان جده الأول قد انتقل من العراق إلى اليمن واستقر بها أما حفيده هذا فقد كان له شأن كبير وقد عنى بأخباره كثير من المؤرخين(٢) ومن رجال هذا القرن من الصوفية عيسى بن إقبال الهتار كان صاحب مقامات وكرامات كثيرة وله فى الاصلاح الاجتماعى الشيء الكـ[illegible] توفى سنة ٦٠٦(٣) ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الحكمى عرف بصاحب عواجه وقد رافقه فى تصوفه الشيخ محمد بن حسين البجلى حتى عرفا بصاحبى عواجه . توفى سنة ٦١٧(٤) .

وبقية أعلام هذا القرن من الصوفية هم :

ـــ الصوفى ابراهيم بن على الفشلى اشتغل فى أول أمره بطالب العلم ثم تحول إلى التصوف فاثرت عنه كرامات وأقوال فى التهذيب وعلى يديه نبغ الصوفى الكبير الشيخ أحمد الصياد توفى ٦١٣(٥) .

( ) أنظر ما كتبناه حول هـــذه الأسرة فى مجلة العرب العدد ١٦ لسنة ٦ ذى الحجة سنة ١٣٩٢ .

(٢) من هؤلاء حفيده محمد بن أحمد الأهدل المتوفى سنة ١٢٩٨ له كتاب بعنوان النهج الأعدل فى ترجمته للشيخ على الأهدل طبع فى الهند سنة ١٢٨٧ ومنهم عبد الله المكى له كتاب فى مناقبه مخطوط بجامعة الرباص وأنظر ترجمته فى الجندى وطراز أعلام الزمن للخزرجى وتحفة الزمن للاهدل والخواص ص ٨٠ وغيره وعند الخزرجى أن وفاته سنة ٦٩٠ (أنظر العقود [illegible]) ج ١ ص٢٦٧ .

(٣) الخواص ١٠٩ وانظر ترجمته فى الجندى وطراز أعلام الزمن وتحفة الزمن .

(٤) الخواص وانظر ترجمته فى الجندى وطراز أعلام الزمن وتاريخ المعلم وطيوط(مخطوط)

(٥) الخواص ص ٦ وانظر ترجمته فى الكتب المشار اليها سابقاً .

— الشيخ جوهر بن عبد الله عاش بمدينة عدن وخلف شيخه سعد الحداد فى مشيخة الصوفية وكان أميا متواضعا توفى سنة ٦٢٦[١] .

— الشيخ الصوفى الكبير أبو الغيث بن جميل ويلقب شمس الشموس كان أصله من الموالى وقد خرج مع رفقة له لقطع الطريق فوكله أحدهم أن يراقب قافلة قادمة فسمع هاتفا يقول له ياصاحب العين عليك العين فوقع هذا الكلام فى نفسه وكف عن قطع الطريق وقصته هذه تشبه قصة الفضيل بن عياض ثم التحق بالشيخ على بن أفلح وحكمه فى التصوف وهو أشهر صوفية اليمن فى ذلك الوقت وقد جمع أحد تلامذته كلامه فى مجلد رغم أنه كان أميا لا يجيد القراءة ولا الكتابة يقول الشرجى عن هذا الكتاب (وهو مجموع فى قدر مجلد لطيف وعندى نسخة منه) أما الاهدل فيشك فى نسبته إليه توفى بن جميل سنة ٦٥١[٢] .

— الصوفى الكبير أحمد بن علوان كان أحد أولاد رجال الدولة وتحول إلى طريق التصوف بسبب تأثير حادثة عجيبة وقعت له وهو من كبار مشاهير الصوفية فى اليمن وإتباعه لا يزالون إلى الآن توفى سنة ٦٥٥ وله مصنفات كثيرة وديوان شعر[٣] .

أحمد بن الجعد الابينى عرف فى تصوفه بكثرة الرياضة والعبادة توفى سنة ٦٩٠ تقريبا[٤] .

---

(١) الخواص ٤٦ ومرآة الجنان ج ص٣٤٧ وتاريخ ثغر عدن ٢٩ .

(٢) أنظر ترجمته فى مرآة الجنان ج ٤ ص ١٣٦ والجندى (مخطوط) والعقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٠٧ .

(٣) الجندى (مخطوط) والعقود اللؤلؤية جـ ١ ص ١٦٠ والخواص ص ١٩ ومرآة الجنان ج ٤ ص ٢٥٧ والتصوف فى تهامه ص ٦٩ .

(٤) الخواص ص ١ ، ٢ .

أبو العباس أحمد بن موسى بن عجيل يصفه الشرجى بقوله (القطب العارف) وأطنب فى ترجمته وإليه تنسب قرية بيت الفقيه لأنه كان من الصوفية [illegible] اء وله مؤلفات فى الفقه توفى سنة ٦٩٦ وعند الخزرجى سنة ٦٩٠[1] .

وهؤلاء هم مشاهير القرن السابع الهجرى من صوفية اليمن وهناك غيرهم من أعلام هذا القرن سيجدهم الباحث فى كتاب الشرجى وغيره من كتب التراجم اليمنية .

القرن الثامن

ظهر فى هذا القرن جمع غفير من صوفية اليمن حيث اكتملت فيه كل مقومات التصوف ولم يعد الصوفية فى هذا القرن متأثرين بعادات زملائهم من الفقهاء بل منهم من لم يكتف بمجرد الزهد والعبادة فدخل فى مواجيد والهامات صوفية تقربه إلى الحقل الفلسفى الذى عرفناه عند الحلاج وابن عربى وإضرابهما. وسنكتفى هنا بذكر ستة أشخاص فقط لكثرة هؤلاء وتعدد طرقهم منهم .

ـ أحمد بن عمر الزيلعى العقيلى عرف بسلطان العارفين واشتغل بالتصوف وله فيه مصنف بعنوان ثمرة الحقيقة ومرشد السالكين إلى أوضح طريقة[2] توفى سنة (٧٠٤)[3] .

ـ أبو بكر بن محمد بن يعقوب بن أبى حربة توفى سنة ٧١٤[4] .

---

(١) الجندى مخطوط والعقود اللؤلوية جـ ١ ص ٢٠٧ والخواص ص ١٣ .

(٢) مخطوط بالمكتبة الاصفية بالهند .

(٣) الجندى والعقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٦٥ والخواص ص ٢٢ .

(٤) تحفة الزمن والخواص ١٧٣ وطراز أعلام الزمن وتاريخ ثغر عدن ص ٣٠ .

ـ أبو عبد الله محمد بن عمر بن حشيبر كان من كبار المتصوفة فى اليمن وله مجموع كلام راق فى الحقائق الصوفية وصفه ابن الاهدل بقوله (فيه مقالات مفيدة وفى بعضها شيء من الشطح) وهو مجموع فى مجلد. توفى سنة ٧١٨[١] .

ـ على بن عبد الله الطواشى يصفه اليافعى بقوله أنه من الصوفية الذين جمعوا بين الحقيقة والشريعة (توسع الشرجى فى ترجمته) توفى سنة ٧٤٨[٢].

ـ عبدالله بن أسعد اليافعى هو الصوفى اليمنى الوحيد الذى سارت شهرته خارج اليمن وانتشرت كتبه فى مكه ومصر والشام عاش فى عدن وانتقل إلى مكه مده ثم ارتحل إلى مصر والشام ووصفه ابن بطوطه فى رحلته توفى سنة ٧٦٨[٣] .

ـ طلحه بن عيسى بن ابراهيم المتار يذكر له الشرجى كرامات كثيرة ويقول أن كراماته بحر لا ساحل له ومن مصنفاته فى التصوف كتاب (اللطائف فى اجتلا عروس المعارف) توفى سنة ٧٨[٤] .

---

(١) كذا ضبط وفاته الشرجى وعند الخزرجى أنها سنة ٧٢٠ (وانظر ترجمته فى طراز أعلام الزمن وتحفة الزمن والخواص ١١٨) .

(٢) مرآة الجنان جـ ٤ ص ٣١٠ وتحفة الزمن والخواص ٤٣ .

(٣) له ترجمات فى عدة كتب منها رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ١٤٧ وطبقات الشافعية للسبكى جـ ٦ ص ٢٠٣ والاسنوى فى طبقات الشافعية جـ ٢ ص٧٢ والعقد الثمين جـ ٥ ص ١٠٤ والدرر الكامنة جـ ٢ ص ٢٤٣٧ وغربال الزمان للعامرى مخطوط والاهدل تحفه الزمن وتاريخ ثغرعدن ص ١٠٩ وطبقات الخواص ص ٠٦٧ والبدر الطالع ج ١ص٣٨٧ والتصوف الاسلامى لزكى مبارك جـ ٢ ص٢٣٠ وأفرده بالترجمةأبوبكر بن محمد بن سلامة الموزعى المتوفى سنة ٧٩٠ فى مؤلف بعنوان المسلك الارشد فى مناقب الشيخ عبدالله بن أسعد (انظر كشف الظنون ج ٢ ص ١٨٤٥) .

(٤) طراز اعلام الزمان وتحفة الزمن والخواص ٦٢ .

ويمثل هـــذا القرن نضوج التصوف فى اليمن واكتمال مذهبه النظرى والعملى .

فى القرن التاسع

وهذا القرن هو آخر صورة فى اكتمال الصوفية مذهبهم بعد أن قوى نفوذ رجاله وأصبحوا يكونون سلطة لها نفوذها بجانب سلطة الدولة وسنكتفى هنا بالاشارة إلى بعض منهم .

— أبو بكر بن محمد السراج كان من كبار شعراء الصوفية له ديوان شعر مجموع توفى سنة ٨٠٠ هـ(١) .

— أبو بكر بن محمد بن حسان المضرى من الصوفية العمليين اضرب عن الدنيا واخذ يتكسب بعمل يده وله بعض الكرامات أوردها الشرجى فى كتابه توفى سنة ٨٠٢(٢) .

— اسماعيل بن ابى بكر الجبرتى المتوفى سنة ٨٠٦ كان شيخ الصوفيه فى عصره(٣) .

— أبو محمد عبدالله بن أبى بكر الناشرى المتوفى سنة ٨٢١ كان كثير العبادة والزهد(٤) .

— عبدالله بن عبد الرحمن بن عثمان المعترض صحب الصوفى أحمد

---

(١) الخواص ١٧٥ وديوانه مخطوط بحضرموت .
(٢) تحفة الزمن الخواص ١٧٦
(٣) سنعود الى ترجمته فى موضوع آخر من الكتاب
(٤) الخواص ص ٧٥ . الضوء اللامع جـ ٥ ص ٥٤

الرديني وكانت لهما كرامات شهيرة أورد منهـــا الشرجي فى كتابه توفى سنة (٨٣٠)[1] .

القرن العاشر

يمثل هذا القرن آخر مرحله بلغها التصوف اليمنى فى تطوره وبعد ذلك اخذت تطغى عليه العوامل المتناقضة من ازدهار وسقوط ولعل ابرز علامات ازدهاره تأتى فى اشخاص رجاله الذين برزوا فى هذه المرحله ومنهم جماعه من صوفية حضرموت التى سنجد التصرف قد نشط فيها خـــلال هذه المرحله واخذت تواصل الحفاظ عليه حتى عصرنا الحديث ومن رجال هذه الفترة :

— الشيخ أبو بكر بن عبدالله العيدروس . كان من اكابر الاولياء واشتهر بالكرم فكان يذبح فى سماطه فى كل يوم فى رمضان نحو الاثين كبشا وعندما توفى بلغت ديونه مائتى ألف دينار وكان يحسن اليه سلاطين الدوله الطاهرية وبعض امراء الصومال توفى سنة ٩١٤[2] .

— معروف بن عبدالله با جمال عرف بتربية المريدين وكان له جاه عظيم وأوذى من قبل سلطان بلده لميل الناس اليه توفى سنة ٩٦٩[3] .

---

(١) الخواص ص ٧٣

(٢) الف فى مناقبه الشيخ عبد الرحمن العيدروس المتوفى سنة ١١٩٣ كتابا فى مناقبه بعنوان (الفتح المبين بأنفاس العيدروس فخر الدين وترجمته فى المشرع الروى ج ٢ ص ٣٤ وشرح العينية ص ٦٥٩

(٣) ألف فى مناقبه الشيخ محمد بن عبد الرحمن باجمال المتوفى سنة ١٠١٩ كتابا بعنوان مواهب البر الرؤوف فى مناقب الشيخ معروف مخطوط وانظر ترجمته فى كتاب النور السافر ص ٢٧٣ .

ـ الشيخ أبو بكر بن سالم له مشاركات فى علوم التصوف وقصده الناس الزياره من أماكن بعيده توفى سنة ٩٩٢[1] .

فى القرون الاخيره

كثر الصوفيه بعد القرن العاشر واصبحنا نجدهم فى شتى طوائف المجتمع كما نجدهم فى المدينه والريف ولا أغالى إذا قلت أن نزعة التصوف تغلغلت حتى عند جمهور الفقهاء وغدا من المتعذر التمييز بين كل من ترسم بالفقه وسائر العلوم الاخرى ومن عرف بالتصوف ولعل ذلك يعود فى أساسه إلى عدم وجود التمييز بين تخصصات العلوم الاسلامية واتجاهاتها وهذا بدوره عائدا إلى ركود الثقافة فى تلك العصور وطغيان الجهل على الناس وعلى الرغم من هذه الكثره الطاغيه فسأكتفى بذكر شخصيتين من رجالات التصوف فى هذه القرون الاخيره .

أولهما : الصوفى الكبير حاتم بن أحمد الاهدل الذى غلب عليه طابع التصوف مع تمكنه من عدة علوم وكان يقول الشعر الحينى والفصيح وله ديوان شعر كبير توفى سنة ١٠١٣[2] .

ثانيهما : عبدالله بن علوى الحداد من أهـــل حضر موت برع فى التصوف والكتابة على أسلوب الغزالى وله مؤلفات فى التصوف مطبوعة توفى سنة ١١٣٢[3] .

---

(١) هناك اكثر من كتاب مستقل فى ترجمته اهل آخرها كتاب ' الجواهر فى مناقب تاج الأكابر لحفيده السيد عبدالله بن احمد الحداد المطبوع فى القاهرة اخيرا

(٢) الف فى مناقبة الشيخ عبد القادر العيدروس كتابا فى مناقبة بعنوان (الروض الباسم من مناقب الشيخ حاتم .) مخطوط بالمكتب الهندى بلندن ٦٣٨ ل

(٣) وضع فى مناقبه كتابا بعنوان غاية القصد والمراد فى مناقب الشيخ عبد الله الحداد الشيخ محمد بن زين بن سميط مخطوط (انظر مراجع تاريخ اليمن ص ٢٣٦

التصوف فى تهامه

أغلب الذين عرفتهم اليمن من ... فيه عاشوا فى تهامه حيث كانت هذه المنطقة من البلاد المحببة لهم فقد وجدوا فيها الأمن والهدوء مؤثرين العزله والعباده فى سواحلها وبعيدا عن ضجيج الحياه وقلاقل الحكام وقد كان أحد صوفيتهم — وهو الشيخ أحمد الصياد — (يمشى كثيرا على السواحل ويرى أنها مورد عبادا الله الصالحين)[1] .

التصوف فى الجبال

وإذا كان التصوف قد انتشر فى المناطق السهليه من اليمن فانه قد قل فى جباله حتى أصبح من الندرة بحيث يعد رجاله بالاصابع ولاسبب لذلك سوى أن بعض المذاهب التى عرفها اليمن لا ترحب بالتصوف على أعتبار أنه دخيل على الاسلام . وكان المذهب الزيدى بما عرف به من نظره عقلانيه تحررية قد أدان الصوفية فى كثير من شطحاتهم وشعاراتهم البعيده عن الاسلام وهو فى ذلك يتفق مع المذهب الحنبلى وقد ألمحنا فى فصل قادم إلى أن الائمه ما كانوا يرحبون بالتصوف لاعتبارات أشرنا اليها هناك .

فنحسن هذا وذاك عاملين رئيسيين فى اضعاف التصوف عند أهل الجبال حتى أن بعض الصوفيه يرى انهم « لا يجوزون الاسرار والكرامات »[2] . أما المقبلى فى القرن الحادى عشر فيرجع عدم انتشار التصوف (فى جبال اليمن إلى الأعلام القائم بها)[3] .

---

(١) الخواص ص ١٨ .

(٢) يحى بن المهدى : صله الاخوان (مخطوط)

(٣) المقبلى : العلم الشامخ ص٣٨١ .

وإذا كان هذا هو حال الناحية الجبلية مع الصوفية لا يجب أن نطمع بوجود إعداد وفيرة منهم وكل من برز فيها لايتعدى سلوكه الطريقة السنية التى سار عليها زهاد المسلمين وعبادهم ولم يعرف عنهم أدنى ميل إلى التصوف الفلسفى كما هو الحال عند بعض صوفية التهايم والمناطق اليمنية السفلى وحضر موت .

على أن المجدد الحقيقى للتصوف فى الجبال هو الشيخ الخليل إبراهيم بن أحمد الكينعى الذى جمع فى تصوفه بين الزهد والعباده وقد وصفه الشوكانى بقوله (انعزل عن الناس وانجمع عن المخالطة لهم وعكف على معالجة قلبه عن مرض حب الدنيا وصام الابد ألا العيدين والتشريق وأحياء ليله بالقيام لمناجاه ربه) توفى سنة ٧٩٣ (١) .

وعلى يد هذا الشيخ الكبير انتشر التصوف فى مناطق صعده وصنعاء وذمار وغيرها وقد ذكر مؤرخ سيرته جماعة من مريدية فى تلك المناطق أمثال .

— قاسم بن عمر الجوبلى . خرج من ماله وأهله ولبس التصوف وجاهد نفسه وكان من أحب الناس إلى الكينعى وهو أحد أوصيائه من بعده(٢) .

— يحى بن حمزة البزم الصنعانى يقول جامع سيرة الكينعى كان فاضلا عابدا زاهدا ترك الدنيا مع الغنى واقتدى بشيخه إبراهيم الكينعى فى لباسه وزاده(٣) .

— حسن بن موسى بن حسن من هجرة الأوطان ترك زينة الدنيا واقتدى

---

(١) أنظر ترجمته فى كتاب (صلة الاخوان فى حلية بركة أهل الزمان (مخطوط) لتلميذه يحيي بن المهدى ومطلع البدور والوافى بوفيات الأعيان الضمدى — والبدر الطالع ج ١ ص ٤ وائمة اليمن لزبارة ص ٢٧٨ ونشر العرف ج ١ ص ٢٨٧ وغير هذه الكتب .

(٢) يحيي بن المهدى : صلة الاخوان (مخطوط) .

(٣) المصدر السابق : (مخطوط) .

ـ بشيخه إبراهيم السكينعى وكان يحى الليل ويصوم النهار وكان زميلا لشيخه في الحضر والسفر .

« التصوف فى حضر موت »

من المؤرخين من يرجع أول بادرة للتصوف فى حضر موت إلى شخص عاش فى القرن السابع الهجرى هو الشيخ محمد بن على الشهير بالفقيه المقدم المتوفى سنة ٦٥٣[1] .

ويقول الشلى شارحا هذه النقطة (أن أهـــل حضر موت كانوا مشتغلين بالعلوم الفقهيه وجمع الأحاديث النبويه ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية ولا من يكشف إصطلاحاتهم السنية فاظهر الفقيه المقدم وعلومها ونشر فى تلك النواحى أعلامها فأخذ عنه الجم الغفير وتخرج به العدد الكبير[2] وقد شهد عصر الفقيه المقدم نشاطا كبيرا في التصوف حتى أن أحد صوفية العالم الإسلامى المشاهير وهو الشيخ أبو مدين المغربى قد بعث إلى حضر موت مندوبا من قبلة ينشر الطريقة المغربية فى تلك الاصقاع[3] وهذا وحدة كافيا على مكانة حضر موت عند الصوفية فى ذلك الوقت .

وعن طريق الفقيه المقدم انتشر التصوف فى حضر موت وقد نبغ على يديه

(١) أنظر ترجمته فى بعض الـكتب المعاصرة كـكتاب تاريخ حضرموت الحامد ج ٢ وكتاب ادوار التاريخ الحضرمى للشاطرى ج ٢ ص ٩١ وشرح العينية ص ٦٠٢ والفـكر والثقافة فى التاريخ الحضرمى لباوزير ص ١٢٦ ومن القدامى الشلى فى المشروع الروى ج٢ ص ١٧٢ وللشيخ على بن ابى بـكر السقاف المتوفى سنة ٧٩٥ كـتابا فى مناقبة بعنوان الأنموذج اللطيف بآخر كتاب البرقة المشيقة ص ٢٠١ — ٢٢٦

(٢) الشلى : المشروع الروى فى مناقب بنى علوى ج

(٣) انظر الشاطرى ادوار التاريخ الحضرمى

جمع كبير من الصوفية أمثال الشيخ عبد الله بن محمد باعباد[1] المتوفى سنة ٦٨٧ هـ وعبد الله بن إبراهيم باقشير وسعيد بن عمر بالحاف وسعد بن عبد الله اكدر وغيرهم كثير وظل جيل الصوفية فى حضر موت يتتابع حتى عصرنا الحديث حيث عرفنا منهم جماعة من الاقطاب أمثال عيد روس بن عمر الحبشى المتوفى سنة ١٣١٤ هـ وعلى بن محمد الحبشى ١٣٣٤ هـ وعلوى بن عبد الرحمن بن شهاب وغيرهم كثير وعلى الرغم من كثرة وجود الاعلام والمشاهير فى الفقه والتصوف فانه لم يحدث هناك شقاق كبير بين (النزعتين الفقهيه والصوفية رغم ماينهما من خلاف فقد ظلتا على وئام فى حضر موت بل أن كثيرا من فقهاء حضر موت اعتنقوا الارآء الصوفية المعتدلة دون أن يروا فيها مايصطدم مع نصوص ظاهر الشريعة[2] .

«شعائر الصوفية»

تولية المشيخه الصوفية

بعد اكتمال التصوف فى اليمن قواعده الأساسية وقيامه كمذهب مستقل رأينا يسن لنفسه نظما وتقاليد خاصة به لايزاحمه فيها أحد من إتباع الطوائف الأخرى ومنذ القرن السابع والتصوف فى اليمن يحاول أن ينظم نفسه فى هيكل دقيق يتكون من الأصل والفروع بحيث لايتعدى كل فرد فيه مكانه المخصص له فالشيخ الذى هو أعلى درجة فى هذا التنظيم يليه الخواص من جلسائه ثم سائر المريدين من الطلبة والاتباع .

---

(٣) انظر ترجمته فى طبقات الخواص ص ٧٠ ولا حد احفاده كتاب فى مناقبه بعنوان المنهج القويم (مخطوط)

(٤) سعيد باوزير : الفكر والثقافة فى التاريخ الحضرمى ص ١٠٧

على أن تولى المشيخة الصوفية لايأتى فى أكثر الأحيان اعتباطا أو بدافع ذاتى وإنما يكون غالبا بترشيح يقوم به كبار الصوفية فى ذلك الوقت للشيخ المرشح للمشيخة وقد ذكر الزجاجى صورة من تلك الطريقة التى تتبع فى ترشيح الشيخ — وهى فى الغالب لاترتبط بكيفيه واحدة — من ذلك أنه عندما حان تولية الشيخ إسماعيل الجبرتى مشيخة الصوفية وذلك بعد أن كثر إتباعه واشتهر امره اجتمع الصوفى الكبير رضى الدين أبو بكر سلامة الموزعى بالشيخ أبى بكر بن محمد السراج صاحب قريه السلامة فأشار عليه بأن ينصب الجبرتى فقبل منه ذلك وانتظر حتى جاء وقت السماع فقام فى تلامذته وألبسه عمامته وقال لهم قد نصبته عليكم شيخا (١) .

وهناك صور أخرى لتولى المشيخات الصوفية وربما أوعز بعض الشيوخ لأحد تلامذته بتولى المشيخة من بعده وقد يقترن ذلك بحادثة غريبة كما هو الحال فى تولى الصوفى جوهر بن عبد الله المتوفى سنة ٦٢٦ هـ لمشيخة الصوفية فقد ذكر كل من ترجم له أن شيخه الولى العلامة سعد الحداد قد أوصى بتولى المشيخة بعد وفاته إلا أنه قيد ذلك بشرط عجيب هو أنه سينزل طائر يقع على رأس من يأخذ هذا المنصب فاتفق أن نزل هذا الطائر على الشيخ جوهر (فقام إليه الفقراء ليقعدوه موضع المشيخة فبكى وقال أين أنا من هذا أنا رجل عامى لا أصلح لذلك فقالوا قد أقامك الحق فى هذا المقام فقال إن كان ولابد فأمهلونى ثلاثة أيام أسعى فى رد حقوق الناس ثم جلس بعد ذلك فى منصب المشيخة)(٢).

وقد يعين الشيخ من يخلفه وهو لا يزال حياً فقد ذكر الشيخ أحمد الرداد أن الجبرتى عينه فى المشيخة وهو على قيد الحياة يقول (إن سيدى إسماعيل

---

(١) الزجاجى : وهداية السالك (مخطوط) .
(٢) الشرجى طبقات الخواص ص ٤٦ .

الجبرتى قد نصبنى شيخا وأذن لى فى الالباس والنصب وذلك فى ليلة السبت ٢٢ من شعبان سنة ٨٠٢ بمسجده المعروف بزبيد بمحضر جمع من الشيوخ والفقراء والمريدين[١] فيكون تنصيب ابن الرداد للمشيخة قبل وفاة شيخه بأربع سنوات .

وفى الغالب يكون تولى المشيخة وراثياً فيخلف الابن والده وهكذا على أن يقوم الابن بكافة الأعمال التى يمارسها الاب وهؤلاء هم الذين تسموا فيما بعد بالمناصب فقد ذكر الجندى والأهدل عدد كبير من هذه المنصبات كمنصبة بيت سود بن الكميت[٢] ومنصب بنى المكدش[٣] ومنصب بنى الحكم[٤] ومن أشهر المناصب الصوفية فى اليمن والتى لا تزال قائمة إلى الآن منصب بنى الأهدل .

وقد احتفظ لنا الأدب اليمنى بصور من احتفالات الشعراء فى تولى أحد الصوفية ذلك المنصب الوراثى كقول الشاعر ابن زنقل مهنئاً الشيخ أحمد بن عمر الأهدل بتولى منصب المشيخة الأهدلية وكان قد احتفل الصوفية بتوليه هذا المنصب بأن عملوا حفلة سماع كبرى يقول ابن زنقل[٥] :

صب بكاظمة شجته أربع	فدموعه فى الخد منه أربع
راعته فى الغادين رائعة النوى	ففؤاده لما تأوه مروع
يامسلمين العيس تنفح فى البرى	حينا وحينا فى الأزمة تنزع
قولوا لأبناء الزوايا بلغوا	من لم يكن الآن حاضر يسمع

---

(١) أبو بكر العيدروس الجزء اللطيف فى التحكيم الشريف ص ٢٢ .

(٢) الجندى : السلوك مخطوط .

(٣) و (٤) : الأهدل تحفة الزمن مخطوط .

(٥) أنظر ترجمته فى طراز أعلام الزمن للخزرجى ، وهو محمد بن ابراهيم بن زنقل مدح جماعة من مشائخ العرب ويقول لم أقف على ديوانه . .

أهل الطريقة والحقيقة أجمعوا	عزموا فى الرأى الصواب واجمعوا
أن ينصبوا الملك المناصب تبعاً	إذ ليس فى كل المناصب تبع
ويتوجوه بتاج أهدل جده	إذ ذاك بالورع الصريح مرصع
ويبرقعوه ببرقع من هامه	لينا ظر العلماء وهو مبرقع

الزوايا والربط

على أن المشيخة مقر خاص عرف عند الصوفية باسم (الرباط) أو « الزاوية » يكون ماوى للمريدين ومن يريد أداء بعض العبادات وسنجد هذه الربط قد كثرت فى القرن التاسع وما بعده منها :

١ — زاوية الشيخ أبى الغيث بن جميل المتوفى سنة ٦٥١ بلغ عدد من فيها من المريدين مائة طالب[١] .

٢ — زاوية الشيخ على الأهدل (القرن السابع) مجموع من فيها نحو ٥٠٠ طالب[٢] .

٣ — رباط الشيخ على بن أفلح (القرن السابع) فى مدينة زبيد[٣] .

٤ — زاوية الشيخ مفتاح بن عبد الله الأسدى (القرن السابع) مجموع من فيها ٣٠٠ طالب[٤] .

٥ — رباط الشيخ محمد بن عمر النهارى المتوفى سنة ٧٤٧ : يقع فى ناحية ريمه[٥] ،

---

(١) التصوف فى تهامه ص ٣٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ .

(٣) الشرجى : طبقات الخواص ص ٨٧ .

(٤) وطيوط . تارية المعلم وطيوط (مخطوط) وطبقات الخواص ص ١٥٦

(٥) الشرجى : طبقات الخواص ص ١٢٦

٦ ــ رباط الشيخ اسماعيل الجبرتى المتوفى سنة ٨٦ : يقع فى مدينة عدن وقد ذكر تلميذه المزجاجى جماعة من الذين تولوا مشيخته منهم الشيخ الصديق الريامى والشيخ أحمد بن محمد المعيبدى(١) .

٧ ــ زاوية الشيخ أبى بكر بن محمد العسلقى المتوفى ٨٤٥ بمدينة زبيد ويقول الشرجى أنه أدرك نقيب الفقراء (الطلبة) بها وكان خيراً صالحا اسمه محمد المكى(٢) .

٨ ــ زاوية الشيخ ابى بكر بن محمد بن سلامة المتوفى سنة ٨٥٤ له زاوية بمدينة موزع(٣) . وغير هذه الزوايا والاربطة كثير جدا(٤) . ولعل أشهرها فى عصرنا الحديث رباط مدينة تريم(٥) ورباط البيضاء تحت إشراف السيد محمد الهدار .

« خرقة التصوف »

ومن مهام الشيخ الرئيسية بجانب الإشراف على أوقاف الزاوية وتيسير أمورها القيام بالباس الخرقة الصوفية والتحكيم لمن أراد ذلك وتنظيم حفلات السماع الذى يقيمه المريدون فى الزاوية أو فى بعض المساجد وسنقف هنا عند هذين الامرين :

---

(١) المزجاجى : هداية السالك والخواص ص ٤٠

(٢) المصدر السابق ١٨٣

(٣) المصدر السابق ص ١٧٦

(٤) للتوسع فى معرفة هذه الزوايا والربط يراجع كتابى تحفة الزمن للاهدل وطبقات ـ الخواص .

(٥) وضع فى تاريخه أحد الباحثين المعاصرين وهو الباحث عبد الله بن حسن بلفقيه كتابا بعنوان تذكرة المحتاط فى تاريخ الرباط (مطبوع)

فالباس الخرقة الصوفية من العادات الاصيلة لصوفية اليمن وغيرهم وهم يرجعون سندها إلى النبى صلى الله عليه وسلم [1] ويجعلونها من البدايات الأولية لطالب التصوف ومن الفقهاء من أنكر عليهم سندها إلى الرسول إلا أن الصوفية يقولون فى الرد عليهم أن لبس الخرقة إذا فرضنا عدم صحة نسبته إلى الرسول فانه (ليس بحرام ولا مكروه وأن البدعة فى حقيقتها ليست بمستنكره على الاطلاق فقد أحدث الفقهاء لبس الطيلسان على العمامة وقالوا ليس بحرام ولا مكروه)[2].

وقد أفرد الخرقة الصوفية كثير من صوفية اليمن فوضعوا فى سندها وتاريخها مؤلفات عديدة[3] مما يدل على مكانتها عندهم ؛ وهم يفتخرون على من سواهم بأن بعض الفقهاء المحبذين لتعاليمهم قد شارك فى لبس الخرقه كالفقيه المحدث

---

(١) عيدروس الحبشى : عقود اللآل ص ٢٤٠

(٢) العيدروس : الجزوء اللطيف ص ٨

(٣) من الكتب التى وضعها صوفية اليمن فى الخرقه الصوفية وسندها وآدابها الكتب الآتية :

١ — أحمد بن أبى بكر الرداد المتوفى ٨٢١ : تلخيص القواعد الوفية فى أصل حكم خرقة الصوفية (ايضاح المكنون ذيل كشف الظنون لإسماعيل باشا)

٢ — على بن أبى بكر السقاف المتوفى ٨٩٥ البرقة المشيقة فى ذكر الخرقة الانيقة طبع فى القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ .

٣ — أبو بكر بن عبد الله العيدروس المتوفى سنة ٩١٤ : الجزوء اللطيف فى التحكيم الشريف طبع فى القاهرة سنة ١٣٥٦هـ .

ووضع العلامة اللغوى محمد مرتضى الزبيدى المتوفى ١٢٠٥ مؤلفا كبيرا لشيخه عبد الرحمن العيدروس المتوفى ١١٩٣ فى الخرقة الصوفية عند أهل اليمن بعنوان (النفحة القدوسية بواسطة البضعة العيدروسية) .

برهان الدين إبراهيم بن عمر العلوى المتوفى سنة ٧٥٢ والفقيه نفيس الدين سليمان إبراهيم العلوى المتوفى سنة ٨٢٥ ه والفقيه محمد بن عبد الرحمن السراج وغيرهم[١] .

وعند الصوفية أن لبس الخرقة دليل على المتابعة لرسول الله (ص)[٢] ومنهم من قال أنها ترمز إلى الرابطة بين الشيخ وتلميذه[٣] وقد قسموا الخرق من حيث مدلولها الصوفى إلى ثلاثة أنواع .

الأولى : خرقة الارادة لايتعاطاه إلا من له إرادة صادقة[٤] .

الثانية : خرقة التبرك وهى مشاع الخاص والعام يلبسها كل من أراد التبرك بالصوفية[٥] .

الثالثة : خرقة التشبه تلبس بقصد التشبه بالصوفية وحكمها حكم النوع الثانى [٦] .

وهكذا بعض الصوفية فى فلسفة خرقتهم وهى فى الغالب تتكون من طاقيه الشيخ أو قميصة أو العمامة أو الطيلسان أو غير ذلك (فيجوز أن يسمى جميع الملبوسات من الازار والقميص والاردية والجباب والعمائم والاقبية ومافوق ذلك ومادون كلها خرق[٥] .

ويكون الباس الشيخ لمريده فى حفل بهيج يقيمه الصوفية له فقد ذكر العيدروس راويا عن نفسه كيفية الباسه الخرقه الصوفية بأن ذلك كان (بمحضر

---

(١) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط)
(٢) الأهدل النفس اليمانى و أجازة القضاة بنى الشوكانى (مخطوط) .
(٣) العيدروس : الجزؤ اللطيف ص ٥ .
(٤) ، (٥) ، (٦) : المصدر السابق ١١ .
(٥) المصدر السابق ص ٢٧ .

عظيم من كافة المشايخ والفقراء والعلماء وكان ذلك بتاريخ شهر رجب سنة ٨٦٥ هـ)[1] .

ويتبع الألباس عادة قيام الشيخ بتحكيم التلميذ وتلقينه الذكر فاما التحكيم فهو عبارة عن أشعار تلميذ لشيخه بموافقته على التلمذة عليه وقد شبهه بعضهم بالمبايعة عند تولى الخلافة (٢) وهناك صور كثيرة لهذا التحكيم عند الصوفية منها أن (يضع المتحكم يده فى يد الشيخ ثم يقرأ الفاتحة وآية من آيات الرجاء الواردة فى القرآن ويقول الشيخ بعد ذلك رضيت بى شيخا ومؤدبا يدعوك إلى ما دعاه الله ورسوله فيقول التلميذ رضيت)[3] ثم يقرأ عليه بعض الآيات والادعية .

(أما التلقين فهو أن يضع الشيخ يده فى يد المريد ويأمره بسماع الذكر معه مع تغميض العينين ثم يقول بعده . ثم يقول الشيخ بعد الاستغفار والدعاء لا إله إلا الله ثلاثا فيقول المريد كما قال الشيخ)[4] .

« السماع عند صوفية اليمن »

كان السماع فى أول الامر عبارة عن تجمعات الصوفية تتلى خلالها مجموعة من الاذكار والاوراد يلقيها الطلبة بصوت واحد مرتل ثم أخذ يتطور قليلا فأدخل فيه القصائد المنظومة ثم استعملت بعض الآلات الموسيقية كالطبل والناى إلى أن تحول إلى غناء وموسيقى ورقص .

---

(١) المصدر السابق ص ١٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) عيدورس الحبشى : عقود اللال ص ٩٩ .

وقد أقام صوفية اليمن السماع منذ القرن السابع ومن أوائلهم الذين مارسوا هذا النوع من الموسيقى الصوفى الكبير أبو الغيث بن جميل[1] والشيخ أحمد بن علوان[2] ومحمد بن أبى بكر العواجى[3] وكان الشيخ محمد بن عيسى الزيلعى يعمل السماع (فى كل قرية من قرى وادى مور وسردد[4] وفى أماكن أخرى وربما ظل يردد بيت شعر واحد طيلة السماع كله .

أما فى القرن الثامن فقد انتعش السماع على يد الشيخ إسماعيل بن أبى بكر الجبرتى بعد أن أدخل عليه أشياء جديدة وربما أقام السماع فى ليله بأكملها[5] . ويحضر سماعه فى بعض الأحيان سلاطين الدولة الرسولية أمثال الملك المجاهد والملك الافضل والملك الاشرف[6] ويقول الاهدل أن الجبرتى أدخل على السماع بعض الآلات الموسيقية كالدف والشبابة والعود وربما حصل فى بعض ليالى السماع (من الاعلان بالزينة وخروج النساء وحضورهن الأمر العظيم)[7] .

وكان الجبرتى اول من اقام السماع الأسر احتفالا بمناسباتهم العائلية[8] وذلك بقصد إدخال السرور عليهم حتى ان السماع اصبح بعد ذلك نوعا من الترفيه وكادت ان تختفى قداسته الصوفية التى يهدف من ورائها ذكر الله والخشية

---

(١) اليافعى : روض الرياحين ص ٢٧٨ .

(٢) و (٣) المصدر السابق (نفس الصفحة) .

(٤) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط) .

(٥) المصدر السابق (مخطوط) .

(٦) المصدر السابق (مخطوط) .

(٧) الاهدل تحفة الزمن (مخطوط) .

(٨) المزجاجى : المصدر السابق (مخطوط) .

له ومع ذلك فان الجبرتى هو القائل (ان السماع حرام على من لا يعرف معانيه[1] ويقول (السماع لمن فتح عليه فى التصوف والا فهو حرام على كل شخص[2] وقد حبب إلى نفوس تلامذته تذوق السماع والمشاركة فى حفلاته فكان له أنصاره الكثيرون . ومنهم من يذوب فيه وينفعل به حتى يؤدى به ذلك إلى الوفاة كما يذكرون عن أحد تلامذة الشيخ الجبرتى وهو الصوفى محمد بن هافع (وكان قد حضر سماعا للفقراء فلما غنى المغنى فى السماع دخله شىء من الوجد فقام من موضعه وقعد عند المغنى ساعة ثم رمى بنفسه على المغنى واعتنقه ساعة ثم فترت قواه ومات)[3] .

ومنهم من يرمى بنفسه من مكان مرتفع أثناء السماع فلا يصاب بأذى كالشيخ عبد الله بن محمد العفيف المعروف بالمسن[4] وغيرهما كثير فيدل كل ذلك على الأثر القوى الذى تركه السماع فى نفوس تلامذة الشيخ إسماعيل الجبرتى .

« المؤثرات الخارجية فى تكوين التصوف باليمن »

سنجد كل تلك التقاليد والعادات التى مارسها صوفية اليمن من الأمور المتبعه عند سائر الطوائف الصوفية فى أنحاء العالم الإسلامى ولم يشذوا عنهم فى قليل أو كثير .

ومع ذلك فاننا إذا أردنا أن نتبين التصوف فى اليمن وجهة خاصة به فسنجدها فى قيام بعض الطرق المحلية التى نشأت فيه كالطريقة الاهدلية والطريقة الجبرتية والطريقة الحدادية والعيدروسية[5] وغيرهما إلا أن كل هذه الطرق لا تعدوا أن

---

(١) و (٢) الشرجى : طبقات الخواص ١٨ .

(٣) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٢٤٨ .

(٤) الشرجى : طبقات الخواص ص ١٠٦ .

(٥) أورد هذه الأسماء الزبيدى فى كتابه (النفحه القدوسية بواسطة البضعة العيدروسية وانظر أيضا كتاب (السمط المجيد) لاحمد بن محمد القشاشى طبع فى الهند .

تكون أسماء على غير مسميات إذا الكل من هذه الطرق يغترف من المنبع العام للتصوف الاسلامى عموما ولم نجد أحدا منهم يخلق لنفسه منهجـــا خاصا به .

وحتى أولئك الذين وضعوا لانفسهم طرقا مستقلة نجدهم يعترفون بتبعيتهم للفرق الصوفية الكبرى التى شهدتها حواضر العالم الاسلامى فى بغداد ومصر والمغرب وهذه الفرق سنحصرها فى ستة طرق صوفية كان لها الأثر الكبير على التصوف فى اليمن .

١ ــ الطريقة القادرية : وتنسب إلى الشيخ الكبير عبد القادر بن موسى الجيلانى المتوفى ٥٦١ وقد تأثر بهذه الطريقة جمع كبير من صوفية اليمن كالشيخ إبراهيم بن محمد باهرمز(١) والشيخ أحمد بن يحى المساوى(٢) المتوفى سنة ٨٤١ هـ والشيخ إسماعيل الجبرتى(٣) والشيخ أبى بكر بن أبى حربه والشيخ عبد الله بن عقيل باعباد(٤) والشيخ أحمد بن الجعد (٥) وغيرهم كثير جدا ولعل أول لقاء لليمنيين بالطريقة القادرية يعود إلى عصر الشيخ عبد القادر الجيلانى حيث اجتمع به أثنان من صوفية اليمن هما الشيخ على بن عبد الرحمن الحداد والشيخ عبد الله الأسدى فأما الاول فقد التقى به صدفة عند الكعبة المشرفة (فلبس منه الخرقه الصوفية عند مقام إبراهيم الخليل سنة ٥٦١ (٦) وأما الثانى : فانه لما سمع أن الشيخ عبد القادر الجيلانى سيصل من العراق إلى مكة لأداء فريضة الحج توجه خصيصا لمقابلته (فوافاه بعرفات فأخذ عنه كتب اليد وسمع عليه شيئا من علم الحديث النبوى)(٧) ويقول الشرجى أن (غالب مشايخ اليمن يرجعون فى

---

(١)و(٢) و(٣) و(٤)و(٥) : العيدروس : الجزء اللطيف ص ٢٠ – ٢١ .

(٦) الشرجى ٠ طبقات الخواص ٨٤ .

(٧) المصدر السابق ص ٧١ ٠

نسبة الخرقة الصوفية إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى)[1] .

٢ ــ الطريقة الشاذلية : نسبة إلى الشيخ أبى الحسن على بن عبد الله الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ انتقلت هذه الطريقة إلى اليمن على يد الشيخ على بن عمر بن دعسين الشاذلى المتوفى سنة ٨٢١[2] الذى كان من أوائل المؤسسين لها فى اليمن وكان قد رحل إلى بيت المقدس ومصر فاجتمع فيها بالشيخ ناصر الدين بن بنت الميلق سنة ٧٩٧ أحد أعيان الشاذلية فى مصر ويقال أنه لما علم بقدومه إلى مصر من بيت المقدس أمر بعض أصحابه (بلقائه فى حفل مهيب)[3] ثم رجع إلى اليمن ونشر بها الطريقة الشاذلية . وبعض المؤرخين ينسب إلى هذا الشيخ اكتشاف القات والقهوة[4] مستدلا فى ذلك برحلته إلى الحبشه إلا أن هذا لم يحقق عنه وكل المصادر القديمة التى ترجمت له اكتفت بالإشارة إلى تصوفه ونقله الطريقة الشاذليه إلى اليمن .

٣ ــ الطريقة المغربية تنتسب إلى الشيخ شعيب بن الحسن الشهير بأبى مدين (توفى سنة ٥٩٤ ، وقد سبق أن أشرنا إلى أنه بعث مندوبا من ناحيتــــه إلى حضر موت . ومنذ ذلك التاريخ وأتباع هذه الطريقة يتـكاثرون فى اليمن ولعل آخرهم هو الشيخ أحمد بن عبد القادر باعشن المتوفى سنة ١٠٥٢ الذى شرح كتاب

---

(١) المصدر السابق ص ٨٤ .

(٢) كذا عند الشرجى وأما السخاوى فيضبط وفاته سنة ٨٢٨ :
انظر ترجمته فى تاريخ البريهى وطبقات الخواص ١٠٠ والضوء اللامع ج٥ ص ٢٦٣ .
ونزهة الجليس لعلى بن نور الدين المـكى ج ٢ص ١٦٣ .

(٣) البريهى : التاريخ (مخطوط) .

(٤) انظر مثلا كتاب (أيناس الصفوة بانفاس القهوة) للعيدروس (مخطوط) وترويح الاوقات فى المفاخرة بين القهوة والقات للاديب أحمد المعلمى ص ٣٣ .

الشيخ أبى مدين (أنس الوحيد) فى مؤلف بعنوان البيان والمزيد[1] .

٤ - الطريقة الرفاعية : مؤسسها الشيخ أحمد بن على الرفاعى المتوفى سنة ٥٧٨ ﻫ انتقلت الطريقة الرفاعية إلى اليمن بواسطة الشيخ عمر بن عبد الرحمن بن حسان القدسى المتوفى سنة ٦٨٨ ﻫ الذى سيأتى ذكره فى أحداث النزاع بين الفقها والصوفية وكان هذا الشيخ قد أدرك أحد أحفاد الشيخ أحمد الرفاعى وهو نجم الدين الأخضر فأخذ عنه الخرقة الرفاعية وتربى بين يديه تربية صوفية (فلما استكمل الشيخ تعليمه أمره أن يدخل اليمن وينشر الخرقة الرفاعية هنالك)[2] وفى اليمن اجتمع القدسى ببعض من صوفيتها أمثال الشيخ عمر بن سعيد الهمدانى وغيره ويقول الشرجى أنه (تنقل بعد ذلك إلى عدة أماكن فى اليمن وابتنى عدة ربط بعد أن شهر الخرقه الرفاعية وانتشرت عنه انتشارا كليا لاسيما فى مخلاف جعفر)[3] أما العيدروس[4] فيعدد بعض من رجالات الخرقة الرفاعية فى اليمن بعد عصر القدسى وهم إسماعيل الجبرتى ومحمد بن أبى بكر الضجاعى وإبراهيم العلوى المتوفى سنة ٧٥٢ ﻫ .

٥ - الطريقة السهروردية : نسبة إلى الشيخ عمر بن محمد السهروردى المتوفى سنة ٦٣٢ ﻫ . لم يعرف شىء من آثار هذه الطريقة فى اليمن سوى الخرقه المنسوبه إليها فقد أشار العيدروس[5] إلى بعض إتباعها وهما الجبرتى والعلوى وقد سبقت الاشارة إليهما .

٦ - الطريقة النقشبنديه : من الطرق الصوفية المتأخرة وقد نشرها فى اليمن

---

(١) طبع فى مصر سنة ١٣٠٠ ﻫ .

(٢) و(٣) الشرجي طبقات الخواص ص ١٠٧ .

(٤) العيدروس الجزء اللطيف ص ٢٣ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٣ .

الشيخ تاج الدين بن زكريا الهندى النقشبندى المتوفى سنة ١٠٥٠ واحد القادمين فأخذ عنه هذه الطريقة بعض الصوفية كالشيخ أحمد بن محمد بن عجيل المتوفى سنة ١٠٧٤(١) وابنه موسى بن أحمد وممن تلقى عنه هذه الطريقة أيضا الشيخ عبد الباقى بن الزين المزجاجى المتوفى سنة ١٠٧٤ يقول عنه المحبى (أخذ طريق النقشبندية عن الشيخ تاج الدين الهندى حتى صار خليفته من بعده فى هذه الطريقة(٢) .

وإذا تجاوزنا هذا النوع من التأثير الخارجى على التصوف فى اليمن — والذى ينحصر غالبا فى الطرق الصوفية — فسنجد الوفود الصوفية قد قامت هى أيضا بدور فعال فى بلورة التصوف فى هذه البلاد وذلك بادخال بعض التيارات الجديدة التى لم يكن له عهد بها من قبل كاستحداث النزعة الفلسفية وقيام التنظيمات الخاصة بالصوفية إلى غير ذلك من أمور غريبة سرعان ماتقبلها صوفية اليمن .

ولعل أهم الوفادات بالنسبة للتصوف اليمنى هى وفادة ذى النون المصرى الصوفى الشهير وقد أشار إلى رحلته هذه بعض الباحثين من القدامى والمحدثين أمثال عبد الله بن اسعد اليافعى الذى يذكر حكاية وقعت لذى النون المصرى نفيد دخوله إلى اليمن(٣) . ومنهم الباحث المعاصر الأستاذ أحمد أمين الذى يحدد دخول ذو النون إلى البلاد بنحو سنة ٢٣٧ هـ(٤) ولانعرف ماهو الهدف من مجىء هذا الصوفى الكبير إلى اليمن وأغلب الظن أنه دخلها بقصد السياحة والتفرج على ملكوت الله كما هو معروف عن هذا الصوفى فى زيارته الاماكن الاخرى

---

(١) المحبى : خلاصة الاثر ج ١ ص ٣٤٦ .
(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨٣ .
(٣) اليافعى : روض الرياحين ص ٤٣ .
(٤) أحمد أمين : فجر الاسلام .

ولا أعتقد أنه كان يرمى بدخوله اليمن (التبشير لنشر مذهبه الصوفى)[1] كما يظن بعض المعاصرين إذ العصر الذى إدركه الشيخ لم يكن يعرف نشوء الطرق الصوفية .

ثم نطوى الزمان طيا ونقف عند القرن الثانى عشر الهجرى حيث تطالعنا فيه عدة وفادات صوفية هامة لم ينحصر أثرها فى التصوف وحده بل تعدته إلى تغيير المجرى التاريخى للبلاد ففى هذا القرن وجدنا بعض الشخصيات الصوفية الجريئة تقتحم مجهول اليمن وتبشر بالدعوة إلى التصوف متجاهله فى ذلك سخط الأئمة على الصوفية فقد ذكر الجبرتى عن أحد القادمين : إلى اليمن وهو الصوفى المصرى على بن عمر القناوى المتوفى سنة ١١٩٨ بأنه (دخل صنعاء واجتمع بأمامها وذهب إلى كوكبان وانتظم حاله وراج أمره وتلقن منه الطريقة جماعة فاستمال بحسن مذاكرته ومدارته طائفة من الزيدية مع أنهم لايعرفون الذكر — هكذا يقول الجبرتى — ولا يقولون بطرق الصوفية فلم يزل بهم حتى احبوه وأقاموا حلق الذكر عندهم واكرموه)[2] وكان هذا الرجل قد حقق هدفه فى تحبيذ التصوف إلى أهل صنعاء وكوكبان على الرغم من عدم موافقة اتباع المذهب الزيدى لهذه النحله . والحق يقال أن المعارضة للتصوف بدأت تختفى بعد هذا التاريخ فى عموم اليمن وعلى الأخص القسم الجبلى الذى عرف بمعارضته الصوفية . كما أشرنا سابقا .

ولقى الصوفية من أهل اليمن ترحيبا كبيرا فكثرت الوفادات والزيارات من سائر أنحاء العالم الاسلامى ولعل أهم هذه الوفادات زيادة الصوفى المغربى

---

(١) القيعلى : التصوف فى تهامه ص ١٥ .

(٢) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الاثار فى التراجم والاخبار (نقلا عن نشر العرف للمؤرخ زباره ج ٢ ص ٢٠٧) وترجم له أيضا الاهدل فى النفس اليمانى (مخطوط) .

الكبير الشيخ أحمد بن ادريس المتوفى ١٢٥٣ (١) واستقراره فى اليمن ثم قيام بعض احفاده من بعده بتأسيس دولة مستقلة عرفت باسم الدولة الادريسيه وقد لعبت دورا كبيرا فى التاريخ اليمنى.

سقوط التصوف

أسفر التصوف عن شخصية قوية كان لها الأثر الكبير فى تغيير مجرى الحياة الثقافية فى اليمن وتحويلها من تعاليم حرفية تعنى بدرس النصوص التقليدية إلى علوم تعتمد على المواجيد والأذواق الخاصة ببعض أفراده وقد كان رعيلهم الأول من الصوفية العمليين الذين لم يمنعهم زهدهم ونسكهم عن الاقتراب من الناس والدخول فى همومه فانخرطوا فى سلك المجتمع وكانوا المعبرين عن آماله وطموحه أمام السلطة الحاكمة ونسمع منهم أصواتاً قوية كصوت الشيخ أحمد ابن علوان الذى يقول للسلطان المظفر الرسولى .

عار عليك قصورات مشيدة   والرعية دور كلها دمن(٢)

وهكذا يكون الصوفية فى اليمن هم الصوت الوحيد المعبر عن الأمة بعيداً عن التزلف والريا إلا أنهم سرعان ما أخذوا ينحدرون إلى الهاوية بعد أن خلفهم جيل من الصوفية كان همه الأول التنعم بالملاذ والنفاق للحكام ومنذ ذلك التاريخ وعلامات الانحطاط تأخذ فى التتابع .

فأول هذه العلامات غلو الصوفية فى تقديس شيوخهم وإسباغ هالات العظمة عليهم فنسبوا إليهم العديد من الكرامات التى لا يقدر على فعلها إلا رب

---

(١) انظر خبر قدومه إلى اليمن فى النفس اليمانى للاهدل (مخطوط) وكتاب دور نحور الحور العين للطف الله جحاف (مخطوط) ونيل الوطر ج ١ ص ٢٢٣ .

(٢) العقود اللؤلوية ج ١ ص ١٦١ (وانظر رسالته التى بعثها إلى السلطان فى هذا الصدد نشرتها مجلة الحكمة الصادرة بعدن) .

الأرباب[1] ومنهم من لم يكتف بإضفاء تلك الكرامات إلى شيخه فى حياته فأخذ يتقرب إلى ضريحه بعد موته ويعتبره من الزارات المقدسة حتى أدى به الأمر إلى الاستغاثة به وطلب نزول المطر عند قبره والنحر له إلى غير ذلك[2] .

أما متأخروهم فقد كانوا وصمة عار على الصوفية وقد حولوا تصوفهم إلى نوع الشعوذة[3] جعلوه وسيلة للكسب الخاطى فقاموا بأعمال يتبرى منها صوفيتهم الأوائل .

تاريخ الصوفية السياسى

الملاحظ على تاريخ التصوف أنه لا ينتعش إلا فى ظل الدول السنية إذ لا مجال له فى المذاهب الأخرى حيث نجد شخصية الصوفى تزاحم من سواها من الزعامات الدينية الأخرى فى مذاهب الشيعة والمعتزلة ومذهب الخوارج وقد ذكر آدم متز أن المعتزلة ينكرون بالكلية أن يختص بعض المسلمين بالولاية من دون . بعض ويرون أن جميع الذين يطيعون الله ويقومون بأحكام الدين هم أولياء الله)[4] .

ولا غرابة إذا كان الصوفية فى عهد الدول السنية أهمية لانهاء قامت على زعامات تفصل بين الدولة والدين وليس للحاكم التدخل فى الشؤون الدينية

---

(١) أنظر على سبيل المثال ما أورده الشرجى فى كتابه من كرامات كثيرة لصوفية اليمن

(٢) حسين بن مهدى النعمى : معارج الألباب ص ٥٦ وما بعدها .

(٣) يذكر المؤرخ يحي بن الحسين حادثة طريفة شاهدها بنفسه سنة ١٠٤٨ لاحد دراويش الصوفيــة فى تلك الفترة يقول (وفى هذه السنة رأيت فقيراً من فقراء الشيخ أحمد بن علوان يأكل حنشا من أوله حتى بلغ إلى ثلثه أو ربعه وطرح باقيه وهو حال أكله يذكر الله) انظر بهجة الزمن مخطوط بقلم المؤلف .

(٤) آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٤٨.

من زاوية سلطته العليا البعيدة عن كثير من تفاصيل الدين وغالبا ما جعل الملوك من الصوفية مصدر بركة وإمداد خفى لحكمهم .

تاريخ الصوفية فى عهد بنى أمية

إذن فعلينا ونحن نؤرخ للصوفية أن نتجه صوب الدول السنية التى حكمت اليمن، فلهم معها شأن كبير، ومنذ الدولة الأموية والصوفية يقومون بكل شماراتهم فى حرية تامة ، وقد كان لصوفية اليمن مواقف لا تنسى تجاه استبداد الولاة الأمويين . . ويذكرون لهم فى ذلك حكايات كثيرة . من ذلك أن عامل صنعاء من جهة الدولة الأموية محمد بن يوسف الثقفى أراد أن يستميل إلى جانبه الزاهد الجليل طاووس بن كيسان فبعث إليه بهدية قدرها سبعمائة دينار (وقال للرسول: إن أخذها منك فانى سأحسن إليك ، فخرج الرسول حتى قدم على طاووس وهو بالجند فقال: يا أبا عبد الرحمن نفقة بعثها إليك . . . مير .فقال: مالى بها حاجة .فداراه على أخذها فأبى حتى غافل طاووس فرمى بها إلى كوة فى بيته وذهب إلى الأمير وقال له أن طاووس أخذها)(1) .

وكان طاووس يعيد صلاته إذا صلى خلف الأمير أيوب أحد أم . اء صنعاء من قبل الأمويين .

(ولما رحل إلى مكة قيل له أن أحد الأمراء قدم إليها وأن من فضله وإحسانه كذا وكذا فهلا قدمت عليه؟ فقال لهم :مالى به من حاجة فقالوا : ما تخافه ؟ فقال : ليس الأمر كما تظنون)(2) .

وهذا الموقف المضاد من قبل الصوفية يفسر لنا السخط العام الذى سببته الدولة الأموية . على أن هذه الدولة الأموية لم تتعرض لأحـــد من

---

(2) الرازى : تاريخ صنعاء تحقيق حسين العمرى وزميله ص ٣٢٠ .

(1) الرازى : تاريخ صنعاء ص ٣٢٤ .

الصوفية بأذى نظرا لأنهم كانوا فى دور التعبد والزهد ولم يدخلوا تيارات الفلسفة الصوفية بعد ، ومثل ذالك الموقف المماكس من قبل الصوفية ما يذكر عن أحدهم أنه لما (رحل الحجاج إلى مكة سمع ملبيا يلبى حول البيت رافعا صوته بالتلبية فقال على بالرجل فأتى به فقال الحجاج ممن الرجل ؟ قال : من المسلمين فقال ليس عن هذا سألتك ؛ قال : عم سألت قال : سألتك عن البلد — قال من أهل اليمن فقال : له كيف تركت محمد بن يوسف - يعنى أخاه - قال تركته عظيما جسيما لباسا ركابا خراجا ولاجا . قال ليس عن هذا سألتك قال عم سألت قال سألتك عن سيرته قال تركته ظلوما غشوما مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق فقال الحجاج ما حملك على هذا الكلام وأنت تعلم مكانته منى فقال الرجل أتراه بمكانته منك أعز منى بمكانى من الله تبارك وتعالى وأنا وافد إلى بيته . فسكت الحجاج ولم يحسن جوابا وانصرف الرجل من غير إذن)[٢]

الدول المستقلة والتصوف

وكمصداق لما قلنا من أن الدول الشيعية لا تولى التصوف أهمية نجد اسم التصوف يكاد يختفى تماما من تاريخ الدول المستقلة التى حكمت اليمن بعد انقراض الوصاية عليها كدولة الصليحية (٤٣٩ — ٥٣٥) وبنو حاتم (٤٩٢- ٥٦٩) والدولة الزريعية (٤٧٠ — ٥٦٩) وكذلك دولة أبن مهدى الذى كان (من غلاة المعتزلة فلم يكن للصوفية فى نظامه الصارم مجال)[٤] إلا أن عمارة يذكر عن نشأة هـذا الرجل فيقول (كان والده من قرية العنبر من سواحل زبيد وكان رجلا صالحا سليم القلب ونشأ ولده على بن مهدى على طريقة أبيه فى العزلة والتمسك بالصلاح ثم حاج وزار ولقى حاج العراق وعلماءها ووعاظها

---

(١) اليافعى : روض الرياحين ص ٢٤٠ .

(٢) العقيلى : التصوف فى تهامة ص ١٩ .

وتضلع من معارفهم وعاد إلى اليمن فاعتزل الناس وأظهر الوعظ وإطلاق التحذير من صحبة العسكر وكان فصيحاً قائماً بالوعظ والتفسير وطريقة الصوفية أتم قيام وكان يتحدث بشيء من أحوال المستقبلات فيصدق فكان ذلك من أقوى عدده فى استمالة قلوب الناس)[1].

إذن فعلى بن مهدى هو نفسه من فئة الصوفية . ولكن لا نجد من يضعه فى عدادهم من الذين أرخوا للصوفية كما أنه لم يقم بشيء يذكر يوحى بميله إلى التصوف ولا نستبعد أن يكون هذا الرجل من جملة الثوار الذين يجعلون من صبغة التصوف ذريعة يتذرعون بها للقيام بثورات سياسية .

وقد اكتشف أبو العلاء المعرى (القرن الرابع الهجرى) هذه الظاهرة فى ثوار اليمن فقال (كلهم يزعم أنه القائم المنتظر فلا يعدم جباية من مال يصل به إلى خسيس الآمال)[2] ويقول (ما زال اليمن منذ كان معدنا للمتكسبين بالتدين والمحتالين على السحت بالتزين)[3] .

وقد ظهر من شاكلة ابن مهدى الكثير من الثوار الذين ترسموا بالتصوف وليس من شأن هذا البحث دراسة هؤلاء لبعدهم عن مضمون التصوف الأساسى وهو الروحية والبعد عن الأغراض الدنيوية إلا أننا سنقف عند شخصية واحدة من هؤلاء هى شخصية الثائر مرغم الصوفى الذى كان لسلوكه الثورى شأن كبير لم يقف عند شخصه وحده بل تعداه إلى من تسمى بالتصوف .

وقد قام بثورته ضد الايوبيين نحو سنة ٦١٩ هـ فى بلاد الحقل وزبيد وجبل بنى مسلم المسمى شحمر فدعا الناس إلى نفسه وأخبرهم أنه داع لامام حق

(١) عمارة : المفيد ص ٢٤٣

(٢) المعرى : رسالة الغفران ص ٣٠٣ .

(٣) المعرى : المصدر السابق .

فانضاف إليه من الناس الجمع الغفير فسار إليه عسكر من جهة الأمير نور الدين ومعه راشد مظفر بن الحرش فقال مرغم لمن معه إن قاتلونا غدا هزمناهم وقتلنا راشد بن مظفر فكان الأمر كما قال[1] وقد ازداد أصحابه فيه عقيدة .

واستفحل أمر مرغم فجعل رجال الدولة الأيوبية فى قلق شديد حتى كان من نتيجة ذلك أن قامت هذه الدولة بعمل معاد[2] للصوفية فيذكرون (ان الملك المسعود كره الصوفية بعد عودته إلى اليمن وعاقب من لبس المرقعات وتشبه بهذه الفرقة حتى قيل انه خرج يوما من الجند يريد الصيد فرأى الشيخ فرج النوبى وعليه لباس الصوفية فغضب وقال هذا يخالف امرى ثم أشار إلى صاحب الفيل ان يطلقه عليه)[3] .

---

(١) يحي بن الحسين : غاية الأمانى ص ٤٢١ .

(٢) الاستاذ المقبلى رأى مخالف لما ذهبنا اليه فهو يرى ان الصوفية انتعشت خلال حكم الأيوبيين (وانطلق عقال نشاط الصوفية ورجالها ولم يكن للدولة مذهب دينى خاص او مبدأ سياسى مدروس تفرض الأول وتحاول تحقيق الثانى لذلك رأت فى رجال التصوف أداة التوطيد سلطتها فاعتنت باحترام زعمائها ولاعفائهم من الضرائب وعدم التعرض لاتباعهم او الاعتراض على زواياهم وحلقات الذكر وريع النذور والفتوح التى كانت تنهال عليهم وينفقها زعماء التصوف على إعانة المريدين ووفود الزوار وطالبى التبرك) (المخلاف السليمانى ج ١ ق ١ ص ٨٥) .

هذا هو رأى المقبلى الذى يلاحظ عليه فيه انه لم يعتمد على مصدر يدعمه وانما أتى هذا الكلام إستطرادا اثناء حديثه عن الاقطاعيات فى عهد الأيوبيين ولم نجده يشير الى مرجع قديم فى الهامش . ويظل ما ذهبنا اليه هو الصواب لاعتمادنا على اصول قديمة فى هذا الشأن ومع ذلك فانى اسلم للاستاذ رأيه فى ان الدولة الأيوبية عاملت الصوفية معاملة حسنة كبقية الدول السنية التى حكمت اليمن الا ان ذلك كان فى مبتدأ أمرهم وقبل ان يقوم مرغم الصوفى بثورته .

(٣) الجندى : السلوك (مخطوط)

وكان من أثر هذا التصرف أن وجد عليهم الصوفية وأصبحت كل تصرفاتهم موضع ريبة وشك عند الصوفية ، يقال أنه لما أرادت الدولة الأيوبية أن تؤمم الممتلكات في اليمن بعد شرائها من أصحابها (اجتمع جماعة من الصوفية فاتفق رأيهم على أن يدخلوا مسجدا ولا يخرجوا منه إلا بعد انقضاء حاجتهم - في إزالة الدولة الأيوبية - فدخلوا مسجدا وأقاموا فيه ثلاثة أيام يصومون النهار ويقيمون الليل فلما كان في اليوم الثالث أو الرابع خرج أحدهم - ويقال أنه الشيخ دحل - وقت السحر ونادى بصوت عال يا سلطان السماء أكف سلطان الأرض)(١) .

تاريخ الصوفية في عهد بني رسول

تلك صفحة من تاريخهم مع الدول التي حكمت اليمن قبل الرسوليين إلا أن تاريخهم الحقيقي يبتدىء بهذه الدولة الفتية التي كان من دأبها إحياء النهضات العلمية في اليمن عامة أيا كان نوعها فهم شجعوا شتى طوائف العلماء من العباد والباحثين ولا غرابة في ذلك فقد تشبع حكام بني رسول بالعلم حتى لا نعدم فيهم من يؤلف ويصنف ويناقش العلماء في مسائل البحث .

ولعل بداية تاريخ الصوفية مع الرسوليين يبتدىء ببداية هذه الدول بل قبل البداية بسنوات عدة ، فالمؤرخون يذكرون تلك الصداقة الوطيدة بين مؤسس الدولة الرسولية الملك المنصور عمر بن علي بن رسول (حكمه من ٦٢٩ — ٦٤٧ هـ) وبين الفقيه الصوفي محمد بن أبي بكر الحكمي المتوفى سنة ٦١٧ وصاحبه الصوفي محمد بن حسين البجلي المتوفى سنة ٦٢١ هـ وهما من كبار الصوفية في اليمن . ويقال أنهما اللذان قويا عزمه في الاستيلاء على الحكم(٢) بعد مشاهدتهما تضعضع الدولة الأيوبية وتنافس أمرائها فيما بينهم على الحكم . ونحن إذا أدركنا أن موت

---

(١) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٨٧ .

الحكمي كان قبل قيام الرسولي بالحكم بنحو عشر سنوات ندرك مدى العلاقة التامة بين الصوفية ودولة بني رسول ولندع الباحث المعاصر الاستاذ محمد بن أحمد العقيلي يشرح هذه المسالة يقول :

(عرف ذلك الشاب المتطلع للملك اليمن عمر بن على الرسولي وهما قد تنبآ له بالملك ما يمكن لطموحه المتطلع من الاستفادة من نفوذهما الروحي وأخذ في تقديرهما وكانا عند قدوم مساح الأرض الزراعية لتقدير الخراج على المزارع يكتبان أغلب أراضي أهل جهاتهما فلما جاء دور الفقيهين لمسح أراضيهما وأخذ الضرائب عنهما عفا عنهما الامير عمر بن علي الرسولي وقد بلغ ذلك نحو خمسة عشر ألف دينار وأدركا بلا شك مطمعه البعيد فأخذا يروجان مقالتهما السابقة بملك اليمن له ويشيعان ذلك سرا ثم يذيعانه مقدما لتهيئة النفوس والعقل لوثبته وشاعت كلمتهما فتقبلها الناس بالترقب[1] .

إذن فالدولة الرسولية تدين للصوفية بوجودها بعد أن مهدوا لها عند الناس وأصبحت مما ينتظر وقوعه .

في عهد الملك المظفر

إذا عرفنا ميل الملك المنصور إلى الصوفية فلا علينا أن نستبعد إذا سلك ابنه الملك المظفر يوسف بن عمر (حكمه من ٦٤٧ إلى ٦٩٤) نفس المسلك الذى اتبعه والده فيذكر عنه ممن ترجم له شدة ميله إلى الصوفية واعتقاده فيهم حتى أنه كان يرحل إليهم بنفسه ويحتال في الوصول إليهم بأساليب غريبة كتلك الحادثة التى يرويها الشرجي يقول (لما تحقق المظفر صدق حال الشيخ أحمد ابن محمد أسعد الضبعي وصلاحه سأل القاضي أسعد بن مسلم أن يجمع بينه وبين الضبعي وكان السلطان إذ ذاك في الجند فقال له القاضي إن علم بذلك لا يوافق

(١) العقيلي : التصوف في تهامة ص ٣٢ .

ولكنى أحتال عليه من حيث لا يشعر فاتفق أن الفقيه أحمد الضبعى وصل من بلده قرية سهفنة إلى الجند لصلاة الجمعة فأرسل القاضى أسعد إلى السلطان يعلمه بوصوله وأمره أن يقف فى دهليز البستان ولا يترك عنده أحد من الخدم والحراس ففعل السلطان ذلك . ثم إن القاضى خرج والفقيه بعد الصلاة يتماشيان نحو بلد الفقيه وهى قريبة من الجند وكانت طريقهما على باب البستان الذى فيه السلطان فلما صارا قريباً منه قال القاضى للفقيه مل بنا إلى هذا الموضع نستظل فيه ساعة فوافقه على ذلك ودخل الدهليز فوجد السلطان قاعدا هناك فقام إلى الفقيه وسلم عليه وبش به ثم سأله الدعاء فدعاء له دعا مختصرا وخرج مسرعاً)[1] .

ومثل هذه الحكاية لا تحوجنا إلى دليل آخر على اعتقاد المظفر فى الصوفية وميله إليهم وهو الذى نشأ على حبهم منذ عهد والده فكان يرحل مع والده إلى الصوفى الكبير إبراهيم بن على الفشلى (وربما قرأ عليه شيئاً من كتب الحديث[2] وحينما تولى الملك أعفى الصوفى إبراهيم بن الحسن الشيبانى من خراج أرضه وأرض أهله[3] وهذا الصوفى هو الذى قال ذات مرة بعد أن ضرب على كتفه (أبشر أن الملك لك ولذريتك لا أسد الدين ولا فخر الدين يعنى ابنى عمه . وكان المظفر يخاف أن ينازعاه فى الملك بعد وفاة والده)[4] .

بل بلغ الأمر بالملك المظفر إلى أن يولى أحد الصوفية القضاء العام وهو الفقيه الصوفى إسماعيل محمد الحضرمى (المتوفى سنة ٦٩٦ هـ) مع شدة تأنيب هذا الصوفى على المظفر فى كثير من الأمور فيذكرون أنه كتب مرة إلى المظفر (فى

---

(١) الشرجى: طبقات الخواص ٢٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٦ .
(٣) المصدر السابق ص ٨ .
(٤) المصدر السابق ص ٨ .

شقف من خوف . يا يوسف كثر شاكوك وقل شاكروك فإما عدلت وإلا انفصلت)[1] انظر كيف بلغ الإدلال بالصوفية على الملك المظفر إلى درجة أنهم يطالبون إزاحته عن الملك وهذا يدل على تسامح هذا الملك ورحابة صدره .

في عهد المجاهد

وتمضى العلاقات بين الصوفية وبنى رسول فى هدوء لا يعكر صفوها شىء من حوادث الدولة الكثيرة التشعبات حتى لم يكد يأتى عهد المجاهد (حكمه ٧٢١-٧٦٤ هـ) ومن تلاه من الملوك : إلا ويعود شأن الصوفية فى الظهور وتبرز دولتهم الروحية بعد سلطة بنى رسول مباشرة ففى عهد هذا الملك توسع الصوفية فى إظهار شعاراتهم وعقد السماعات فى أكثر مساجد زبيد دون أى اعتراض من قبل الدولة . وقد ذكر الزجاجى فى معرض كلامه الذى يذكر به ابن المقرى محاسن الصوفية واهتمام الدولة الرسولية بهم — أن الملك المجاهد (كان يعتقد فى الصوفى الكبير إسماعيل الجبرتى ويحسن الظن به وقد يصل مختفياً فى زى غريب هو وبعض أصحابه إلى مجلس الجبرتى فى الليل فى مسجد ابن عبد الملك)[2] وعندما رحل إلى مكة وأخذ إلى مصر من جهة الدولة المملوكية فى قصة شهيرة فى كتب التاريخ ، ثم عاد إلى اليمن كان أول ما استفسر عنه هو عن جماعة الصوفية يقول المزجاجى (فلما غاب غيبته المعروفة إلى الديار المصرية ومن الله سبحانه بعد ذلك برجوعه إلى بلاد اليمن كان عند نزوله بساحل زبيد اجتمع بوالى زبيد وهو يومئذ الأمير بن أبى الهيجاء فكان أول ما سأل عنه أن قال عاد ذاك الجبرتى هو وأصحابه على حالهم تلك فقال الوالى نعم وأزيد وأحسن .)[3]

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤ .

(٢) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط)

(٣) المصدر السابق .

فى عهد الأفضل

كانت ولايته بعد وفاة والده المجاهد سنة ٧٦٤ هـ. وله مع الصوفية علاقة حسنة فقد (كان يرسل إلى الشيخ إسماعيل الجبرتى بعض أصحابه يسأل له الدعاء منه ولما مر الجبرتى المذكور على مدينة تعز عمل الأفضل لأصحابه وليمة كبيرة أقام في خلالها السماع فحضره جماعة من مشائخ البلاد وكبرائها ولما أراد الانصراف أعطاه الإنعامات والهدايا هو وأصحابه)[١] .

فى عهد الاشراف

أما الملك الأشرف فقد عهد منه الصوفية كل خير ورعاية. يقول المزجاجى مخاطباً المقرى (أما فى دولة مولانا المرحوم الملك الأشرف فلا حاجة إلى شرح ما كان يعتقده فى سيدى إسماعيل الجبرتى وأصحابه ومحبته لهم وكثر إنعامه وإحسانه إليهم وعمل السماعات لهم فهذا شيء تعلمونه وتتحققونه غير خاف عليكم ولا على أحد من الناس وشرح ذلك يطول)[٢] .

فى عهد الناصر

وهذا الملك هو آخر ملوك الدولة الرسولية الكبار الذين حفظوا لها المهابة والاستقرار واستطاعوا أن يوطدوا الأمن فى البلاد ومن بعده أخذ نجم الدولة فى الأفول وخلف من بعده خلف لم يستطيعوا مجاراة أسلافهم العظام فتركوا الدولة نهباً للطامعين . يقول المزجاجى وهو يصور علاقة جماعته الصوفية مع هذا الملك (أما فى هذه الدولة السعيدة دولة الملك الناصر فما أحتاج الى شرح ما أنتم عالمه من محبة مولانا لسيدى الشيخ اسماعيل الجبرتى وحسن اعتقاده له وكثرة انعامه

---

(١) المصدر السابق (مخطوط) .
(٢) المصدر السابق (مخطوط) .

وإحسانه عليه وعلى أولاده وأصحابه وعلمهم السماع برحابه الشريفة بإشارته العلية)[1] .

ومما سبق يتضح لنا أن العلاقات بين الصوفية والدولة الرسولية كانت حسنة للغاية حتى أن هذا المسلك سيكون بعد ذلك تقليداً متبعاً عند كل الدول السنية التى حكمت اليمن فلا يكاد يظهر حاكم للسنى إلا وله حاشية من الأولياء والزهاد يجندهم للدعاء له واستمالة قلوب العامة إليه حتى كانت هذه العادة موضع نفور وسخط من قبل العلماء المتمسكين يقول ابن الجوزى فى نقد صوفية زمانه (كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء فصاروا الآن أصدقاء لهم)[2] كذلك لاحظ عليهم ابن الأهدل هذه العادة فقال (ومن عادة هذه الطائفة التحبب إلى الدولة وإيراد الأحاديث والروايات فى فضائلهم حتى جعلوا السلطان الجائر من الأبدال وربما ألقوا فى سمعه أن له درجة التحكيم والتفويض فيما فعله بلا حرج ولذلك لم يكد يقع إنكار العلماء من قديم الزمان أحد من الملوك وذلك من مكرهم)[4] . وكان هذا من جملة ما نقد به الفقهاء الصوفية كما سيتضح لنا فيما بعد .

الدولة الطاهرية والصوفية

وكما سار بنو رسول فى معاملة الصوفية سيرا حسناً كذلك نجد الملوك من بنى طاهر — وهم فى أكثر الأحيان يقتفون آثار من سبقهم من سلاطين آل

---

(١) المصدر السابق (مخطوط) .

(٢) ابن الجوزى : تلبيس إبليس .

(٣) الأهدل : كشف الغطاء .

(٤) ومن هذا القبيل تقرب هـذا السلطان إلى الصوفى محمد بن على السودى المتوفى ٩٣٢ =

رسول — فهذا الملك عامر بن عبد الوهاب الطاهرى يقرب[1] إليه الصوفى الكبير أبا بكر بن عبد الله العيدروس المتوفى سنة ٩١٤ هـ. ويمده بالاموال والخلع الباهظة الثمن وقد كتب له فى رسالة (يطلب منه الدعاء بأن يمكنه الله من فتح حصن وصاب)[2] وكان هذا الصوفى (قد بشر السلطان بفتح بلد يافع ودثينه وجبن وغيرها)[3] .

وقصائده الكثيرة فى هذا السلطان تعطينا دلالة أكيدة على مدى ارتباط الصوفية بهذه الدولة ، من ذلك قوله فى قصيدة طويلة :

يا من رقى فى الملك أعلى رتبة	ومجده سامى على الشهب
وعطاؤه عم البرايا كلها	وجوده يزرى بوبل السحب
ما حاتم ما جعفر فى جوده	ما حيدر ما عنتر فى الضرب
كم قلعة عيطا فتحها عنوة	كم هامة قد قدها بالعضب[1]

« الصوفية والحكم العثمانى »

سيذكر التاريخ للصوفية مقاومتهم للغزاة الذين دخلوا البلاد ، فكما رأيناهم يقومون بثورتهم العارمة ضد الايوبيين فى شخص مرغم الصوفى ، وذلك بعد خروجهم عن القاعدة الشرعية التى جاءوا من أجلها رأيناهم أيضا ينتفضون فى وجه الاتراك الذين دخلوا البلاد وقد احدثوا فيها من المفاسد ما جعل العقلاء يدعون إلى طردهم وتحرير الارض منهم . ولعل الباعث الرئيسى فى معاداة الصوفية لهم ذلك التذمر الشعبى الذى عم الأوساط تجاه الدولة العثمانية وهو

= وقد بعث إليه (بخلعة نفيسة) انظر النور السافر ص ١٥٦ .

(١) العيدروس : ديوان محجة السالك ص ٤٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٩٥ .

يعود إلى أسباب تتعلق بسلوك هؤلاء وبأمور أخرى خرجوا فيها عن القاعدة التي دعا إليها ديننا الحنيف، وقد أجملها المقبلي في القرن الحادي عشر بقوله (كانت الاتراك قد عاثت في اليمن وفعلو الافاعيل بنفوسهم أولا من الخور والفجور وبالناس ثانيا من الفتك ونهب الأموال وغير ذلك (١) ولا غرابة بعد كل هذا أن أقام الصوفية بقومتهم ضد الاتراك وهم الذين جندوا أنفسهم لمراعاة الفضيلة فقد ذكر أهل التاريخ ظهور جماعة من الثوار الذين وقفوا في وجه الاتراك وأغلبهم من أهل الجبال كذلك الثائر الذي ظهر في بلاد آنس نحو سنة ٩٨٦ ولقب نفسه منصور اليمن وتبعه ناس كثير من الانصار تمكن بهم من طرد عامل الباشا مراد (٢).

وما زال الشقاق يقوى بينهم حتى آخر مراحلهم في اليمن حيث ذكر الواسعي قيام أحد الصوفية بثورة في نواحي تهامة سنة ١٢٠٠ هـ وقد وصفه بأنه (رجل كان يدعي السحر والمعرفة بعلم الكيميا استطاع أن يجمع حوله العامة من أهالي تهامة وبخاصة من قبيلة خولان الثائرة ودعاهم إلى مناوأة الحكم العثماني في اليمن. وقد وجه الاتراك قوة عسكرية استطاعت أن تجبر هذا الرجل على الهروب وتفرق أتباعه (٣).

أما قبل هذا التاريخ فسنجد الأمير التركي فانصوه حينما طلب من أهل مدينة بيت الفقيه تحصيل مبلغ كبير من المال اعترضه في هذا المسلك الصوفي أحمد بن جعفر وقال له أن هذا المبلغ لا يمكن تحصيله لان الناس متفرقون في الجبال. فما كان من هذا الأمير إلا أن قتله احتجاجا على قولته ثم أراد أن يقوم بحملة

---

(١) المقبلي : العلم الشامخ ص ٣٢٢

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الاماني ص ٧٥٦ .

(٣) فارق أباظة : الحكم العثماني في اليمن ص ١٠٩ .

أخرى ضد الصوفية لاهادتهم فيقال أن للصوفى الكبير أبو بكر بن مقبول الزيلعى المتوفى سنة ١٠٤٢هـ دعا عليه بقوله (اللهم شتت شمله وفرق جمعه) (١) .

وقد كانت بداية أمر الاتراك فى اليمن تبشر بعلاقات حسنة بينهم والصوفية وخاصة حينما أظهروا نية طيبة نحوها بدليل تلك الرؤيا التى رآها القائد التركى صفر للصوفى ابن أبى بكر بن عبد الله العيد روس وهو يبشره بفتح اليمن (٢) ، وكمل الوالى حسن باشا بتجديد عمارة ضريح الصوفى أحمد بن علوان فى تعز (٣) وقد مال إليهم الصوفية من أهل الجنوب لاسباب مذهبية .

لولا أن الجن قد انقلب عليهم بعد ذلك عند ثورة اليمن عليهم وخروجهم عن الطريق السوى كما أسلفنا .

« الائمة والصوفية »

تاريخ الصوفية مع أئمة اليمن نوع آخر من العلاقات المتذبذبة بين الحرب والسلم وإن كان يغلب عليها النوع الاول كما سيتضح لنا فيما بعد .

ويبتدى تاريخهم مع الأئمة منذ أدرك الامام المهدى أحمد بن الحسين — (حكمه من سنة ٦٤٦ إلى ٦٥٦) — تلك الشعبية الطاغية لهؤلاء الصوفية فقد أدرك ببصيرته الثاقبة أنها لا شك ستؤثر على مركزه السياسى فى المجتمع اليمنى الذى يعتمد فى أكثر الأحيان على النفوذ الروحى . وقد أصبح يزاحمه فيه جماعة الصوفية. فلما رأى هذه الشعبية حاول أولا أن يستميل رجالها إلى جانبه وقد كتب إلى الصوفى الكبير أبن الغيب بن جميل المتوفى سنة ٦٥١ هـ رسالة صدرها بالآية الكريمة (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا

---

(١) المحبى : خلاصة الاثر ج ١ ص ٩٨

(٢) النهروالى : البرق اليمانى ص ٢٥١

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الامانى ص ٧٥٦

وبينكم الآية)[١] ثم قال فيها (ياشيخ القصد الاجتماع على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والسلام)[٢] ويقول الجندى فى تعليقه على رسالة الإمام المهدى تلك (أنه متى مال الشيخ أبو الغيث مع الامام فاهل تهامه مائلون معه)[٣] .

ولا جدال فى الغرض السياسى من هذه الرسالة ولو أنها بعثت إلى رجل غير أبو الغيث لاعتبرها تدعيما لمركزه الروحى وخاصة أنها من إمام مثل المهدى وقد خصه بها من دون غيره ولكن ليس مثل هذا الإغراء مما يندفع نحوه الشيخ أبو الغيث لنستمع إليه فى رده على رسالة الامام السابقة الذكر يقول (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الحمد لله فالق الإصباح ومرسل نسيم الرياح إلى فسحة مبدأ عالم الاشباح والصلاة والسلام على سيد الأنام ومصباح الظلام وعلى آله وصحبه الكرام . أما بعد فقد وصلنا كتاب السيد الشريف يدعونا لإجابته ولعمرى إنها طريق سلكها الأولون وأقبل عليها الاكثرون غير أنا نقرأ منذ سمعنا قوله تعالى (له دعوة الحق) لم يبق فيها متسع لإجابة الخلق فليس لاحد منا أن يشهر سيفه على نفسه ولا أن يفرط فى يومه بعد أمسه فليعلم السيد فلة فراغنا لما رام وليبسط العذر والسلام)[٤] .

وهكذا اعتذر الشيخ أبو الغيث بأسلوب متبع عند جماعته من الصوفية بعد أن وضع نفسه فى حل من أى انتماء لهذا الامام .

---

(١) الاية ١٦٤ سورة آل عمران

(٢) الجندى : السلوك (مخطوط)

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق (مخطوط) وانظر هذه الرسالة فى مرآة الجنان لليافعى ج ٤ ص ١٣٦ والعقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٠٨ وقد اثبتناها كاملة هنا لاهميتها .

وقد كان هذا الموقف - موقف التحاشي عن الأئمة — علامه رئيسية اتجه منها الصوفية إلى وجهة الدول السنية ورأيناهم ينبذون ما سواهم حتى أن موقفهم هذا يفسر لنا سر تجمع الصوفية السهلية وبعدهم عن الجبال الخاضعة لنفوذ الأئمة ويذكرون في هذا الصدد أنه (لما قوى أمر الإمام عبد الله بن حمزة - أو أحد الأئمة - نزل الشيخ أبو الغيث إلى تهامة)[1] وقد كتب إلى الفقيه محمد بن إسماعيل الحضرمي يقول (لقد عزمت على النقلة من بلاد اليمن (الجبال) من أجل ظهور الفتن فهل توافقني على ذلك فكتب إليه الفقيه يقول إني كثير العيال والأهل والأقارب ولا يمكنني الانتقال بهم ولا يمكنني أن انتقل واتركهم ولكن على أن أحمي جهتي وعليك أن تحمي جهتك فقال الشيخ صدق الفقيه فاتفق أن قتل الإمام أو أنه مات عقب ذلك)[2] .

ويظل العداء بين الأئمة والصوفية مستمر إلى أن يصل ذروته عند قتل الامام صلاح الدين محمد بن علي (حكمه ٧٧٣ — ٧٩٣ هـ) الفقيه الصوفي أحمد بن زيد بن عطية الشاوري وكان هذا (يقبح الإمام وصنف كتابا[3] يحذر فيه من البدعة فقصده الامام المذكور إلى بلاده في عسكر كثير وهجموا على بيت الفقيه وقتلوه هو وولده أبو بكر وجماعة من أهله وأصحابه من غير قتال منهم بل ظلماً وعدواناً وذلك[4] سنة ٧٩٣ هـ .

وكان هذا التصرف مصدر تذمر كبير من قبل الصوفية بما فيهم العلامة الكبير

---

(١) الشرجي : طبقات الخواص ص ١٢٣ .

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) وهذا الكتاب هو الذي تصدى للرد عليه العلامة محمد بن يوسف الفضلي في كتابة (الانصاف في الرد على أهل الزيغ والاعتساف) كما ذكر في المقدمة .

(٤) الشرجي : طبقات الخواص ص ٢٤ .

الفقيه اسماعيل بن أبي بكر المقرى المتوفى سنة ٨٣٧ هـ الذى كتب قصيدة يقول فيها مخاطبا الإمام صلاح الدين محمد بن على :

أراني الله رأسك يا صلاح — تداوله الأسنة والرماح
وقد طلعت وأنت بها صريع — تقاسمك الأسنة والصفاح
لقد أطفأت للإسلام نوراً — يضيء العلم منه والصلاح
فتكت بأولياء الله بغيا — وعدوانا وابج بك الجماح
وبؤت بسخط ربك لا بحمد — ولا أجر وعرضك مستباح
فتكت بأحمد فانهد ركن — من الإيمان وانقرض السماح
فلا تفرح بسفك دم ابن زيد — فما يرجى لقاتله فلاح[1]
فليس له سوى البارى نصير — ولا عضد يمد ولا سلاح
توقع للهلاك فقد تدانى — وقد نهضت على النمل الجناح
شهرت سلاحك المفلول فيمن — سلاحهم الدعاء والافتتاح
قتلت الصائمين وهم سجود — ينادون الإله لهم نواح
وما كانوا بعلمك أهل حرب — ولا فيهم فتى فيه كفاح[2]

وبعد هذا العمل الخطير من قبل الإمام الناصر صلاح الدين كان الصوفية يخافون الأئمة أشد الخوف ويحذرون من الاقتراب إليهم وقد ذكر المزجاجى رواية تدلنا على مدى تخوف الصوفية من الأئمة فقال إن (الفقيه الصوفى محمد بن موسى بن عجيل وقد كان أحد زهاد عصره قد أسر فى إذن الشيخ اسماعيل الجبرتى بقوله (أدع الله تعالى يحمى هذا القطر من إمام المشرق وأشار بيده له

---

(١) صدقت نبؤءة ابن المقرى اذ قتل الامام فى نفس السنة التى قتل فيها الصوفى أحمد بن زيد الشاورى .

(٢) ابن المقرى : ديوان ابن المقرى ص ٣٨٠

تجاه مدينة صنعاء وذمار وأعمالها — واجعل خاطرك بذلك وإياك أن تسهل له فى ذلك) [١] . وهذا نص جلى يبين لنا شدة خوف الصوفية من الأئمة .

الامام شرف الدين والصوفية

وتمضى مرحلة من العلاقات بين الصوفية والأئمة لا نجد فيها ما يدفعنا إلى القول بأنها كانت علاقات حسنة وكل مافى الأمر هذا الفتور الشديد الذى يصل أحيانا إلى تجنى الأئمة على جماعة الصوفية دون ما يبرر ذلك سوى بعض المسائل الاعتقادية المخالفة لهم . . وسنضرب عليها هنا .

وبعد مجىء الأتراك إلى اليمن وجد الامام شرف أن جماعة من الصوفية يخذلونه فى نضاله معهم ورسخ فى ذهنه أن هؤلاء الصوفية (يدخلون فى النصب بالايماء إليه أو بالتلويح كقول بعضهم أن آل النبى إنما هم من كان أتباعه) [٢] إلى آخر ذلك فما كان منه إلا أن تصدى لهم وعقد معهم أولا المناظرات ثم أردع بعضهم السجن والبعض قتله .

وقد ذكر ابن أبى الرجـــال فى ترجمة محمد بن عطف الله العبسى أنه وقعت بينه وبين الامام شرف الدين مناظرة وذلك فى ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٩٣٩ حول الصوفية بعد أن ظهر للامام جنوح العبسى إلى مبتدع هذا المذهب المنكود ولم يفعل الامام ذلك إلا لما رأى ميله إليهم ونصرته لمذهبهم) [٣] وبعد المناظرة هدده الإمام بقوله إن لم يقلع عن معتقد الصوفية (عامله معاملة المرتدين وأمره باعتزال زوجاته ثم أمهله حتى يراجع نفسه والا عومل بالقتل) [٤] ثم ان

---

(١) المزجاجى : هداية لسالك (مخطوط) .
(٢) ابن أبى الرجال : مطلع البدور نقلا عن كتاب الامام شرف الدين (الأثمار)
(٣) ابن أبى الرجال : المصدر السابق نقلا عن سيرة الامام شرف الدين للزريقى
(٤) المصدر السابق (مخطوط) .

العبسى رجع عن معتقده وذلك بعد أن ضرب وعذب وكتب رسالة يبين فيها رجوعه عن التصوف) سنذكرها فى موضع آخر[1] .

يقول ابن أبى الرجال - وهو يصور حالة الصوفية فى عهد الامام شرف الدين وذلك قبل اتهام العبسى بميله إلى الصوفية - (وكانت قبل ذلك خمدت نارهم وقل تظاهرهم بذلك واشتهارهم ونبا حدهم وانفل ودرس منهج سلوكهم واضمحل إلا من تخفى بذلك الرقص والتصفيق والغناء فى البيوت وما كان سبب خذلانهم إلا ما صار يصدر عن الامام شرف الدين من النهى عن اتباع التصوف ، والزجر عن السلوك فى تلك المسالك من أول دولته)[2] .

ولم يقف الأمر عند محمد بن عطف الله العبسى بل نجد الامام شرف الدين قد أخذ عبد الله بن القاسم بنفس الجريرة السابقة وكان هـــذا قد (علق قلبه بالتصوف بسبب رجل يقال له الشيخ على الجبرتى وصل إلى الظهرين من بلاد حجة والسيد عبد الله هناك فمال معه ولازمه ودار معه فى الأمصار فلما ظهر منه اعتقاد الصوفية حبسه الامام فى حصن العروس وأغلظ عليه)[3] ثم أطلقه بعد أن كتب رسالة يتبرأ فيها من مذهب الصوفية[4] .

على أن موقف الإمام شرف الدين من الصوفية لم يقتصر على السجن فقط بل تعداه إلى قيام الإمام بقتل بعضهم . يقول المؤرخ يحى بن الحسين فى حوادث سنة ٩٤٢ (وفيها أمر الإمام شرف الدين بقتل الفقيه حسن بن على الجدر[5]

---

(١) انظرها فى قسم الملاحق «وقد رأينا لمرجا هذه الملاحق بعد أن رأينا توسم الـكتاب»

(٢) ابن أبى الرجال : المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق مخطوط .

(٤) انظرها فى قسم الملاحق .

(٥) كذا ورد اسمه فى غاية الأمانى وفى المطلع باسم حسين بن يحيى الجدر .

لما ظهر منه العمل بعقيدة (الشطاحين) من الصوفية ومال إليه كثير من الناس واستتابه الامام ولم يتب)[1] وقد توسع فى هذا الخبر ابن أبى الرجال وهو ينقل عن مصدر قديم الزريقى وقال انه - أى الإمام شرف الدين - لم يكلف نفسه بمناظرة حسن بن يحيى الجدر كما فعل مع العبسى وذلك (لعدم رسوخ الجدر فى العلوم) ثم (لما فتح الامام مدينة صعدة وجد عند بعض متصوفيها كتابا من الفقيه حسن الجدر فيه التحريض له على البقاء فى التصوف وأنه لا يروعه الكلام والزجر من الامام شرف الدين فلما رأى الامام ذلك هم بقتله وأشار إليه بعض الحاضرين أن يحبسه فأمر الامام ابنه على شمس الدين بحبسه ثم إن الفقيه حسن الجدر حلف بالله الايمان المغلظه أنه قد خرج عن هذا المعتقد سرا وجهراً وأن هذا الكتاب كان قبل استتابة ابن عطف الله العبسى ورسالته ، فقبل الامام عذره واستمرت الحالة إلى شهر صفر سنة ٩٤٢ ثم ظهر منه البقاء على مذهبه المشؤوم وأنه مسر الكفر فأمر الامام بقتله فى ضحوة نهار الجمعة ٢١ من شهر صفر المذكور بحلقة صنعا)[2] .

وهكذا كانت علاقة الامام شرف بالصوفية تطور من سيء إلى أسوأ وأنها ليست بأحسن من سابقتها من الأئمة الذين تقدموه .

الصوفية والدولة القاسمية

بدأت الدولة بالامام القاسم بن محمد (حكمه من ١٠٠٦ — ١٠٢٩ هـ —) الذى يعتبر من فحول العلماء المصنفين وقد سبر أغوار مذهب الصوفية فلم ير فيه رأيا حسنا فكان من شأنه أن تصدى للرد عليهم فى مؤلف كبير بعنوان (حتف

---

(١) يحيى بن الحسين غاية الامانى ص ٦٨٠ .

(٢) ابن ابى الرجال مطلع البدور (مخطوط) .

أنف الإفك[1] شرح فيه قصيدة له أسماها (الكامل المتدارك فى بيان حال الصوفى الهالك) ومما جاء فيها قوله معرضا بالصوفية :

فينا التلاوة والمواعظ والدعاء   واللحن عندهم بمرقة تمهد

فينا الصلاة والزكاة وصومنا   وجهادنا أحد بذاك أحمد

والرقص عندهم وكل محرم   والفاحشات وقولهم أطرق مد

وعلى هذا السنن المعادى للصوفية أيا كانوا كتلك الحادثة التى يرويها المؤرخ يحيى بن الحسين فى كتابه بهجة الزمن يقول فى حوادث سنة ١٠٧٤ (وفيها أو التى قبلها أحرق الامام المتوكل على اسماعيل كتاب (الفصوص) لابن عربى بناء على ما فيه من كفر بحت[2] وكتاب الفصوص من كتب الصوفية فنحس من هذا العمل عداء الامام المتوكل على الله اسماعيل للصوفية وإن كان الأمر يبدو بسيطا نظرا لأن هذا الكتاب من الكتب التى يتبرى منها الصوفية المعتدلون ومع ذلك فما زال موقف العداء تجاه الصوفية مسيطرا على الأئمة حتى آخر إمام وهو الناصر أحمد بن يحيى حميد الدين الذى قام بهدم ضريح الصوفى أحمد بن علوان فى يفرس وأضرحة أخرى لكبار الصوفية فى الحديدة وتعز[3] وقد قال الشاعر محمد محمود الزبيرى مشيراً إلى صنيع الامام ذلك :

كذلك المجد إما رافعا علما   أو باعثا أمما او هادما صنما

قد اقتلعت قباب الشرك متخذا   مكانة البيض والهندية الخذما

حطمت قبرا لخطير الشان جانبه   لولا عزيمتك الشماء ما انحطما

جرح على كبد الاسلام متسع   وضعت فيه شعاع الشمس فالتأما

---

(١) هذا الكتاب مخطوط ضمن كتب الجامع بصنعاء برقم ١٣٠ (علم الكلام) .

(٢) يحيي بن الحسين : بهجة الزمن (مخطوط) .

(٣) زبارة : أئمة اليمن . القسم الاول ص ٢٠٤ .

وعلى العموم فإن الموقف بين الفريقين كان موقف خصومة ومحاربة وقد تنبه لهذا العداء في القرن العاشر العلامة محمد بن يحيى بهران المتوفى سنة ٩٢٧ الذى أخذ على صوفية زمانه عداءهم الشديد للأئمة يقول (ومن نقائصهم مخالفتهم ومباينتهم للأئمة فهؤلاء القوم الصوفية نبذوا أهل البيت وراء ظهورهم ونفروا الناس عن اتباعهم واسبوهم إلى الابتداع في الدين بل الخروج عن خيمة المسلمين) (١) هذا من حيث عداء الصوفية للأئمة أما من حيث عداء الأئمة للصوفية فقد أشار إلى ذلك العلامة صالح بن مهدى المقبلى المتوفى سنة ١١٠٨ في كتابه العلم الشامخ يقول (وقد من الله علينا في اليمن بحسم مادة التصوف في جبال اليمن بسبب الإمام القائم فيها وكان من أفضل ما جاء به منع النوغين (٢) من اللعب لأن مذهبهم تحريم الغناء ومن غريب ماروى بعض العلماء أنه اهدى للإمام (الفصوص) كتاب ابن عربى وكانت له جارية ممضوبة (٣) فقال لأهله أوقدوا هذا الكتاب واخبزوا عليه قرصا واطعموه هذه الجارية ففعلوا فكأنما نشطت من عقال (٤) ثم سألت الإمام عن ذلك وحكيت له ما قيل فقال نعم

---

(١) ابن بهران: الكشف والبيان (مخطوط) .

(٢) التمايل والرقص (تاج العروس) .

(٣) مشوله أو ما يقارب هذا المعنى (تاج العروس) .

(٤) ومثل هذه الحكاية ما يذكره ابن الأمير عن نفسه أنه (وقع معه عارض لسهال زيادة على سنة ونصف ولم ينفع فيه دواء وأعيا الأطباء وجانى بعض فقهاء صنعاء بكتاب اسمه (الانسان الكامل) تأليف الجيلى من كتب الصوفية ومعه المظنون به على غير أهله) فطالعت الكتابين وكنت قد قرأت الأول منهما من أيام ثم رأيت فيهما ما هو والله كفر لا يتردد فيه ذو إيمان فحرقتهما ثم جعلت أوراقهما في التنور وخبز لى على نارهماخبز نضيج وأكلته بنية الشفاء من ذلك الداء فذهب بحمد الله الألم ونمت الليل أو أكثره وحمدت الله تعالى على نصرة دينه) (انظر ديوان ابن الامير ص ٣٢٩) .

فعلنا ذلك فشفيت فهذه الخارقة عارضت خوارق بن عربى) [1] .

وهكذا كانت العداوة بين الفريقين يتوارثونها جيلا لجيلا وهى تميل فى بعض الاحيان إلى أسباب سياسية بحتة كخشية بعض الأئمة من نفوذ الصوفية الروحى وتغير العامة من اتباعهم كما رأينا فى نص ابن بهران السابق أو أنها ترجع إلى أسباب مذهبية يتفق الائمة بها مع فريق الفقهاء الذين انقدوا الصوفية لأسباب تتعلق بأمور الدين وخروج هؤلاء عن قاعدة الشريعة الاسلامية ولا يتعدى هذا العداء أحد الأمرين .

« استمالة الائمة للصوفية »

وحينما وجد الأئمة أن صوفية اليمن يبتعدون عنهم وخاصة أولئك النفر الذين قطنوا المناطق السهلية وبعض بلدان الجنوب رأوا أن فى ذلك خطرا كبيرا يهدد مراكزهم الروحية والسياسية فما كان منهم إلا أن استعاضوا عنهم بجماعة من صوفية الجبال قربوهم إليهم واغدقوا عليهم المال لعل فيهم ما يسد النقص ويبعد عن الاذهان ما علق بها من أن الائمة كانوا يحاربون الصوفية والتصوف من حيث أصله فقد وجدنا الأمام الناصر صلاح الدين الذى قام بعمله فى قتل الصوفى الجليل أحمد بن زيد الشاورى . يتقرب إلى الصوفى الكبير إبراهيم ابن أحمد الكينعى المتوفى سنة ٧٩٣ هـ ويرحل إلى ذمار لقصد زيارته وطلب الدعاء منه وكان يقول (استغفر الله من تقصيرنا فى حق هذا الامام [2] ويقول المؤرخ يحيى بن المهدى (كان الامام صلاح الدين يزور الكينعى فى كل عام إلى ذمار وإن كان فى صنعاء ففى الشهر أو الشهرين يزوره فى الليل فى خلوه خالية .)

ولعله من الغرابة بمكان أن هذا الامام الذى عرف عنه عدم ميله إلى الصوفية

---

(١) المقبلى : العلم الشامخ ٣٨١ .

(٢) يحيى بن المهدى : صلة الاخوان (مخطوط) .

كان على علم تام بعلوم الصوفية ومواجيدهم وقد اعترف له بهذا معاصره الصوفى إبراهيم الكينعى يقول (يعلم الله أنى ما وجدت فى علوم المعاملة وعلوم أهل الحقيقة ووظائف هذه الطريقة ومكاشفاتهم فى وقتى هذا أعرف من الامام الناصر)[1].

وقد حوت مكتبة الامام الناصر بعض كتب الصوفية النادرة يقول من وقف عليها — وهو الكينعى السابق الذكر — (قد شاهدت عنده كتبا غريبة فى علوم الزهاد وحكايات الأوليا مالم أره إلا عنده منها كتاب كيمياء السعادة للغزالى وأجزاء من إحياء علوم الدين)[2] ولعل ذلك من باب معرفة الشيء.

وإذا كان هذا موقف الامام الناصر بما أثر عنه من قتل الصوفى الشاورى فما بالك بغيره.

« مؤلفات الأئمة فى التصوف »

على أنه يجب أن نعتبر سلوك بعض الأئمة المعادى تجاه الصوفية عملا سياسياً بحتا تقتضيه الأوضاع الخاصة بهم من حيث تنافس الفريقين فى استمالة الناس عن طريق التأثير الروحى وبعض الزعامات الدينية. وإلا فما هناك عداوة. وقد رأينا بعض الأئمة المتدانين الذين لا هم لهم فى النفوذ السياسى يتساهلون مع الصوفية بل نجد منهم من لم يكتف بهذا كما هو الحال عند الامام المؤيد بالله يحى بن حمزة المتوفى سنة ٧٤٩ هـ الذى كان يردد الثناء على الصوفية حتى أن الصوفى عبد الله بن أسعد اليافعى يستغرب من أن الإنكار على الصوفية لا يصدر إلا من قبل أهل (السنة) (مع أن إمام الزيدية العلامة الفاضل يحيى بن حمزة كان يستحسن القصيدة التى كتبتها فى الثناء على الصوفية وقد أخبرنى بعض الاصدقاء

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.

قال رأيته فى حراز من بلاد اليمن وقد أتى غازيا الاسماعيلية فى جيش كثير قال فلما علم أنى قاصد الحج قال لعلك تأتينى أو قال عسى أن تأتينى بحى‌ء من كلام اليافعى) (١) .

إذن فلا نستغرب إذا وجدنا االامام يحيى بن حمزة يضع مؤلفا حافلا فى التصوف يعتبر من أهم ما تركه أهل اليمن فى هذا الباب من حيث التقسيم وسلامة التعبير بل إنه يدخل من ضمن الكتب النادرة التى تناولت سلوك المجتمع على مستوى شامل وعالجت مسألة سياسة الأفراد الخاصة والعامة .

وهذا الكتاب ــ ويسمى (تصفية القلوب عن درن الاوزار والذنوب)(٢) بناه على أبواب رئيسية نفهم منها منحى الكتاب وقضاياه وهى :

المقالة الأولى : فى الرياضة وتهذيب الأخلاق :

المقالة الثانية :

المقالة الثالثة : فى بيان الصفات المهلكة .

المقالة الرابعة : فى الصفات المنجية فى بيان الأمور المعتادة نحو الآدب فى الاكل والشرب إلخ ..

المقالة الخامسة : فى بيان أخلاق النبوة وذكر المعجزات الباهرة .

المقالة السادسة : فى العزلة .

المقالة السابعة : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

المقالة الثامنة : فى الزهد .

---

(١) اليافعى : مرآة الجنان ج ٤ ص ٣١٥ .

(٢) مخطوط بمكتبة الجامع برقم (٧٢) تصوف ومنه نسخ أخرى متعددة « انظر كتابنا مؤلفات حكام اليمن » .

المقالة التاسعة : فى الغرور .

المقالة العاشرة : فى ذكر الموت .

ومن هذا التقسيم يبدو لنا جليا تأثر الامام يحيى بن حمزة بأسلوب الغزالى فى كتابه الإحياء حتى كان هذا دافعا للواسعى فى القول بأن الامام يحيى بن حمزة نحا فى كتابه نحو الغزالى فى الإحياء [1] وما ذاك إلا من حيث التقسيم إذ فى الكتاب أمور انفرد بها وحده كنظرته العامة للمجتمع وسياسته السلوكية الدينية .

على أنه لا مشاحة فى اطلاع الإمام يحيى بن حمزة على كتاب الإحياء حيث تشهد قائمة كتبه إلى مؤلف مختصر بعنوان (عقد اللآلى فى الرد على أبى حامد الغزالى)[2] انتقد فيه القسم الخاص بالسماع من كتاب الاحياء وهذا دليل على قراءة الامام رحمه الله الإحياء .

والآن وقد عرفنا إعجاب الإمام يحيى بن حمزة بالصوفية وتأليفه فى علومهم فلا علينا إلا أن نلتفت إلى غيره من الأئمة الذين اهتموا بالتصوف وفنونه فسنجد فى قائمة مؤلفات الإمام المهدى أحمد بن يحيى المرتضى المتوفى سنة ٨٤٠ عدة عناوين توحى باهتمامه بهذه الناحية ككتابه (تكملة الأحكام والتصفية من من بواطن الآثام)[3] وله عليه شرح فى مؤلف ضخم بعنوان (ثمرات الاكام)[4] وهذا الكتاب عنى به جمع غفير من صوفية اليمن فشرحوه وذيلوا عليه كشرح صلاح الدين الجحافى المتوفى سنة ١٠٥٣ وشرح الحسن بن أحمد الجلال

(١) الواسعى : فرجة الهموم والحزن ص ١٩٥ .

(٢) مخطوط : بمكتبة الجامع برقم ١٠ مجاميع .

(٣) مخطوط : بمكتبة الجامع برقم ٧٥ تصوف .

(٤) مخطوط : بالمتحف البريطانى برقم ٣٩٣٧ .

المتوفى ١٠٨٤هـ وغيرهما وللامام المهدى عدة رسائل مختصرة تدخل ضمن كتب الصوفية كرسالته (حياة القلوب المحى لعبادة علام الغيوب)[1] و (الزهرة الزاهرة بتحقير الدنيا وتعظيم الآخرة)[2] وغيره .

وآخر من نذكره من الأئمة المؤلفين فى التصوف الامام عز الدين بن الحسن المتوفى سنة ٩٠٠ فقد ترك فى علم التصوف كتابا جيدا بعنوان (كنز الرشاد وزاد المعاد)[3] وهو يتميز على سائر الكتب المصنفة فى علم التصوف عند اليمنيين بحسن التبويب ووضوح العبارة وقد قسمه إلى مقدمة وفصلين وخاتمة وهو فى عمومه يدور حول الجانب الخلقى من التصوف ولم يتعرض إلى شىء من العلوم التى تميز بها الصوفية من أتباع ابن عربى بل سنجده يحذر فى مقدمة الكتاب من تلك العلوم (الشاطحة) وينقل فى ذلك قصيدة جاء فيها قوله فى الرد عليهم :

تركوا الشرائع والحقائق واقتدوا بطرائق الجهال والضـــلال
فاحذ رهبوا واحفظ مودة سادة قاموا بذكر الله فى الآصال[4]

وهكذا تتابع مؤلفات الأئمة فى التصوف إلا إنها تدور كلها حول الجانب العملى من التصوف ولم نجد أحدا منهم يخوض فى فلسفات صوفية أو أفكار تبعده على الجانب السنى المأثور عن جيل الصحابة وزهاد المسلمين .

---

(١) مخطوط : بمكتبة الجامع برقم ٢٧ فرايض .
(٢) مخطوط : بمكتبة الامبروزيانا وآخر بمكتبة الجامع برقم ٦٠ مجاميع .
(٣) طبع سنة ١٣٤١ بتصحيح الشيخ عبد الواسع الواسعى ثم اعيد طبعه اخيرا وصدر ضمن مؤسسة غمضان التجارية .
(٤) عز الدين بن الحسن : كنز الرشاد ص ١١ .

مدرسة ابن عربي في التصوف اليمني

ابن عربي واليمن

لا توجد هناك صلة تذكر بين الشيخ محيي الدين بن عربي واليمن إلا إذا اعتبرنا هذه الصلة من خلال نسبته إلى قبيلة (طي)[1] التي يعتبرها المؤرخون من القبائل اليمنية ويسلسلون نسب جدهم طي إلى قبيلة كهلان اليمنية .

وحتى هذه النسبة يبدو أنها بعيدة جداً حيث أن قبيلة (طي) سكنت (جبلي أجأ وسلمى) من بلاد نجد فكانت ديارهم من دون (فيد) إلى أقصى (القريات)[2] ولم تسكن في اليمن ، ومن هنا لا نرى سبباً في جعلها من القبائل اليمنية إلا إذا اعتبرنا ذلك من خلال جدهم الأول .

ومن الغريب أن يرحل الشيخ ابن عربي إلى شتى بقاع المعمورة دون أن يعرج إلى اليمن، وقد كانت قريبة منه جداً حينما كان في مكة. يقول بلاسيوس وهو يصف رحلات الشيخ أنه رحل إلى مراكش وتونس ومكة ومصر وبغداد والموصل والقدس وانطاكية ودمشق وحلب وقونيه[3] . وما كان أقرب من اليمن من كل هذه الاماكن. لولا أن الشيخ ابن عربي قد خشي من خطورة المجيء

---

١ — اليك سلسلة نسب الشيخ محي الدين ابن عربي كما ذكرها اصحاب التراجم : محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبد الله الطائي الحاتمي الاندلسي المرسي (العقد الثمين للفاسي ج ٢ ص ١٦) .

٢ — خير الدين الزركلي: الاعلام ج ٣ ص ٢٢٧ .

٣ — آسين بالاسيوس · ابن عربي ص ٥٣ .

إلى اليمن وخاصة أنها قد شهدت فى هذه الفترة معارك طاحنة بين الدول القديمة والمستحدثة ولا نستبعد ذلك فقد عاصرت هذه المرحلة قيام الدولة الرسولية وماصحبها من حروب عنيفة ليس للشيخ ابن عربى قدرة عليها على ان ابن عربى لم يبت كل الوشائج التى تربطه باليمن حيث استعاض عن رحلته اليها باللقاء مع جماعة من علمائها الكبار منهم المحدث اليمنى الشهير محمد بن إسماعيل بن ابى الصيف المتوفى سنة ٦٠٩ الذى ذكر اجتماعه به وأخذه عنه فى كتابه (الفتوحات المكية)(١) . وهو اليمنى الوحيد الذى صرح باسمه فى كتابه .

مدرسة ابن عربى فى اليمن

إذا عرفنا هذه الصلة الضعيفة بين شخصية ابن عربى واليمن فسنجد ان اليمن قد عوضت تلك باحتضانها لتعاليمه منذ مدة مبكرة .

وكانت البداية أولا على يد جماعة من الصوفية اتفقوا معه فى المشرب الصوفى ولم يكن لهم به صلة . فقد شهد القرن الذى توفى فيه ابن عربى تبلور تعاليم المدرسة (الاشراقية) عند صوفية اليمن الذين قد يكونون متأثرين فيها بالمصادر التى أخذ عنها ابن عربى نفسه، ولا نستبعد ذلك حيث نجد أفكار الحلاج ومن سار فى مسلكه قد راجت فى اليمن قبل هذا التاريخ بمدة ليست بالقصيرة .

وقد تعاطى هذه الفلسفة الصوفية جماعة من رجالات اليمن الكبار كان على رأسهم الصوفى اليمنى الكبير أبو الغيث بن جميل الذى حملت كتاباته الصوفية طابع المدرسة الفلسفية سواء إن كان متأثراً فيها بابن عربى — على الرغم من معاصرته له —(٢) أو باسلافه من الاشراقيين أمثال الحلاج والسهروردى

---

(١) ابن عربى : الفتوحات المكية ج ١ ص ٧٥٧ .

(٢) ولد الشيخ أبو الغيث سنة ٥٦٠ تقريبا وهى نفس السنة التى ولد فيها ابن عربى على ان أبا الغيث تعمر بعد ابن عربى بمدة طويلة .

وغيرهما. وقد اراد الأهدل ابن ينفي الكتاب المنسوب إليه بأقوال لا تعتمد على دليل مدعم بالنصوص ويقول (واعلم ان الكتاب المنسوب إلى الشيخ أبي الغيث جميل يقع فيه كثير مما يشبه مقالات ابن عربي من الاتحاد لكن الكتاب لا يصح له سند يعتمد عليه لأن المشهور ان الشيخ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف ثقة محقق ضابط كتبه عنه بل جمعه من جمعه من مقالات متفرقة لا تثبت آحادها بروايات عنه صحيحة مسموعة)[1] ويحاول في هذا الصدد أن يرجع بنسبة الكتاب إلى الشيخ أبي بكر اليحيوى أحـــد المنتمين إلى مدرسة ابن عربي من المتأخرين[2] ودعوى أن الشيخ بن جميل كان أميا لا تنفى عنه ان يصنف كتابه بواسطة الإملاء على أحد مريديه كما فعل في رده على رسالة الإمام أحمد بن الحسين يقول الجندى (لما وصل كتاب الإمام إلى الشيخ قال لبعض أصحابه أقرأ كتاب الشريف فلما فرغ قال ياغلام على بدواة وقرطاس فلما حضر قال الشيخ اكتب ان ينصركم الله الخ)[3] وهذا يدلنا على أن الشيخ كان باستطاعته ان يصنف كتبا بواسطة الاملاء كما فعل حين كتب جواب الإمام ولا يصح ان نعتمد قول ابن الاهدل مادام الكتاب منسوبا إلى الشيخ أبي الغيث والمهم أننا نستطيع ان نتوصل تعاليم ابن عربي في اليمن من عصر الشيخ أبي الغيث الذى ادرك حياة ابن عربي وكان قد أثر عنه في كتابه الذى أشار إليه ابن الاهدل مايشبه أفكار الشيخ ابن عربي مثل قوله (ان الكون كله صورة واحدة ظاهرها شريعة وباطنها حقيقة)[4]

---

(١) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٠

(٢) الاهدل : نفس المصدر والصفحة .

(٣) الجندى : السلوك (مخطوط) .

(٤) الاهدل : المصدر السابق ص ٢٨٠ .

وقوله (لاشك أن التوفيق شقاء لفتيلة ايمان كل مخلوق على قدر علمه ومعرفته سواء كان موافقا للنبى (ص) أو مخالفا له يقينا)[1] ومن ذلك قوله (من عرف الله انكر وجود الخلق وصار أهل الجنة والنار بأمره لهو مايشاء)[2] ومن أقواله فى هذا الصدد (ان طائر الفقر ينعق بلسان الازل ويرفل فى حال الأحدية)[3] إلى غير ذلك من أفكار نجدها عند اتباع ابن عربى .

ومن الذين يدخلون فى زمرة مدرسة ابن عربى من صوفية اليمن القدامى الشيخ أحمد بن علوان المتوفى سنة ٦٦٥ وكتاباته هى مزيج من الوعظ الصوفى وبعض الأفكار الفلسفية حتى ان المستشرق ماسينون عده من جملة أتباع الحلاج[4] الذى يبحث غالبا فى الوعظ الدينى وبعض الأفكار الصوفية الفلسفية كما أشرنا سابقاً على أنه استحدث فى كتاباته نوعاً جديداً من التعبير بلغة غريبة زعم أنها لغة خاصة به ولا يعدو الأمر ان يكون من أسباب افراطه فى الرياضة ومن نظرة سريعة إلى عناوين كتبه يتضح لك تلك الوجهة التى تميز بها تأليف ابن علوان من ذلك كتابه (البحر المشكل الغريب)[5] وكتاب (الفتوح المصونة والاسرار المخزونة)[6] وكتاب (التوحيد الاعظم)[7] وغيره .

---

(١) المصدر السابق : نفس الصفحة

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ماسينون مجلة المورد العدد ٣ سنة ١٣٩٢ ص ٦٢، بل نسب الى ابن علوان كتابا بعنوان ذكرى الحلاج .

(٥) مخطوط بالمكتبة الآصفية .

(٦) مخطوط بجامع تريم بحضرموت فى مجلد ضخم .

(٧) مخطوط بمكتبة الجامع ٨٥ تصوف : المكتبة الغربية .

وبهذين الرجلين — ابن ابى الغيث وابن علوان — قامت مدرسة الفلسفة الصوفية فى اليمن إلا أن قربهما المباشر من عصر ابن عربى لم يجعلهما يستفيدا من كتاباته الخاصه وإنما كان ذلك من خلال المشرب الذوقى الذى عرفت به تعاليم هذه المدرسة وهم ينهلون جميعا من الاتجاه . الذى سار عليه أسلافهم فى دعواهم فى الحب والقرب وغيره من إشارات الصوفية .

على ان تكون مدرسة ابن عربى فى صورتها الحقيقية المنتمية إليه كان فى القرن السابع بواسطة احد القادمين إلى اليمن — ولم يكن للاهالى يد فى نشأتها — إذ تنسب تعاليم ابن عربى فى اليمن إلى قادم هو الصوفى أبو الخطاب عمر بن عبد الرحمن بن حسان المتوفى سنة ٦٨٨ ه وقد أتى إلى اليمن بأمر من شيخه نجم الدين الاخضر كما أشرنا إلى ذلك فى فصل سابق وكان المقدسى فقيها منطقيا وصل إلى تعز فعين بها مدرسا بمدرسة أم السلطان فى مغربة تعز[1] وهذا الشيخ هو الذى ادخــل كتب ابن عربى إلى اليمن ولم تكن معروفة من قبل[2] .

وقد اثمر مكوثه فى اليمن بظهور جماعة من التلاميذ أمثال محمد بن سالم ابن البانه الذى تشرب بحب مذهب ابن عربى فكان يتباحث هو وشيخه فى علوم التصوف بمالا تحتمله العقول[3] إلى أن انتج ذلك وجود أول نزاع بين الفقهاء والصوفية كما سنبينه فيما بعد .

وما كاد ابن البانه يتوفى حتى تأتى افكاره غرسها فى شخص تلميذه رضى الدين أبو بكر بن محمد بن عمر اليحيوى المعروف بالهزاز يقول

---

(١) هى احدى أقسام مدينة تعز الرئيسية بعد المدينة والمحالب .

(٢) الاهدل كشف الغطاء ص ٢١٨ .

(٣) الجندى السلوك مخطوط .

الخزرجي (وربما أخذ عن ابن المقدسي)[1] وقد تصوف وصحب أكابر الصوفية من أهل اليمن وغيرها ثم حج إلى مكة ولقى بها جماعة من مشاهير الصوفية . وفى مكة حصل على مؤلفات ابن عربى وانتسخ كتاب الفتوحات المكية فعكف عليها واعتقد ما فيها ثم عاد الى اليمن ونشر بها تعاليم ابن عربى .

وهذا الرجل هو من أنشط أنصار ابن عربى فى اليمن وأكثرهم خبرة بأمور الملاطفة فكان يتقرب إلى (فقهاء تعز وغيرها مع تحققه أنهم يكرهونه وربما أساؤا إليه وأحسن إليهم)[2] إلا أنه كانت له مع رجال الدولة علاقة حسنة فلم يستطع الفقهاء أن يمسوه بأذى يقول الخزرجي (وحصل بينه وبين الملك المؤيد ائتلاف وصحبه قبل تحول الملك إليه واعتقد صلاحه ولما صار الملك إلى الأشرف تخوف وخرج هو وجماعة من المنتمين إليه من تعز إلى ناحية وصاب . ولم تمض إلا مدة وجيزة حتى مات الأشرف وتولى المؤيد فاستدعاه وأكرمه)[3] وربما تعاطى شيئاً من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خلافا لزملائه من الصوفية فكان يتشدد فى إبطال الخمور (وبإشارته انتقلت الأوقاف من حكام الشرع إلى أرباب الدواوين ولم تكن من قبل إلا إلى حكام الشرع الشريف)[4] على أن الأهدل — كعادته فى الانكار على هذه الطائفة من المنتمين إلى ابن عربى - يستريب فى هذا المسلك ويقول (لعله فعل ذلك تقربا إلى الدولة فان عادة هذه الطائفة أعنى أتباع ابن عربى التحبب إلى الدولة حتى يجعلوا السلطان الجائر من الابدال)[5] توفى ابن الهزاز بعد انتقاله إلى مدينة زبيد

---

(1) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٠٩ .

(2) الجندى : السلوك مخطوط .

(3) الخزرجى طراز أعلام الزمن مخطوط .

(4) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٨٩ .

(5) الأهدل : كشف الغطاء ص ٢١٨

سنة ٧٠٩ ويقول الناشرى وبموت ابن المزاز تنقضى مرحلة أولى من مراحل أتباع ابن عربى فى اليمن (١) ولا يتجدد أمرهم الا بعد النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى .

ففى هذا التاريخ يعود شأنهم فى النشاط بأعظم مما سبق ويكون لهم صولة كبرى تثير حفائظ الفقهاء وتسبب نزاعا كبيراً أصبح حديث الناس فى وقتهم ووقت من أتى من بعدهم والذى يهمنا . فى هذا الفصل هو تتبع نشاط مدرسة ابن عربى فى اليمن دون الالتفات إلى القضايا التاريخية التى تمخضت عن ذلك فقد استفحل أمر هذه الطائفة الصوفية وأخذوا يتجاسرون فى الدخول فى القضايا الفلسفية الصوفية بمعرفة وبدون معرفة وأغلب الظن أنه ينطبق عليهم وصف الامام يحيى بن حمزة فى حديثه عن غرور الصوفية يقول (أدعوا علوم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والأحوال ولا يعرفون هذه الأمور إلا بالأسامى ومجرد العبارات ولا يحيطون بشىء من معانيها بل قد التقطوا من كلمات الصوفية وهم يرددونها ويظنون أن ذلك علم من علوم الاولين والآخرين) (٢) بل قد وصل بهم الأمر فى الدخول فى هذه المسألة إلى أن جماعة من صوفية زبيد (كانوا يتعاطون الخمر ويقول أحدهم للآخر وعزتى لأن تعطينى الكأس لأرسلك إلى خالقى أو نحو ذلك وأن بعضهم يقول للآخر سبحانك وان رجلا عاب رجلا عندهم فقالوا له اتسب الله وان بعضهم يقول هذا الجدار هو الله) (٣) إلى غير ذلك من أمورهم التى أدى إليها فهمهم الخاطى للتصوف الفلسفى والغلو فى

---

(١) الاهدل : المصدر السابق نقلا عن الناشرى فى كتابه الغرور والدرر فى الانساب والسير .

(٢) يحيى بن حمزة التصفية مخطوط .

(٣) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٤ .

استعمال نظرياته المعروفة عند أتباع ابن عربى وهذا يدلنا على أن تلك الفلسفة قد شاعت حتى عند عامة الصوفية بدليل تلك الأعمال الطائشة التى لا تصدر إلا من جماعة العوام .

وكانت مدينة زبيد مصدر ذلك الرواج الكبير لنشاط الصوفية من أنصار ابن عربى وذلك على أثر احتضان أكابر صوفيتها المتقدمين كالشيخ اسماعيل الجبرتى لجماعة من أتباع ابن عربى وبعض تلامذته أمثال ابن الرداد والمزجاجى مع أن هؤلاء يجب أن يبرؤوا من أفكار ابن عربى لعدم مشاركتهم فيها ولم يصمهم بها أحد من الذين أرخوا لهم حتى خصومهم[1] الذين طعنوا عليهم فى سلوكهم بتقريبهم أتباع ابن عربى والتودد إليهم، وأغلب الظن أن نشاط تعاليم ابن عربى فى مدينة زبيد لا يعود إلى أكابر متصوفيها بقدر ما يعود إلى الصوفية القادمة إليها من بلدان مختلفة وقد رأينا فيما سبق كيف أن المقدسى القادم من بيت المقدس أول من أسس طائفة من الصوفية منتمية إلى ابن عربى، وعلى هذا التقدير يمكننا أن نرجع انتشار تعاليم ابن عربى وإحيائها للمرة الثانية خلال القرنين الثامن والتاسع إلى قادم آخر هو الشيخ عبد الكريم الجيلى المتوفى سنة ٨٠٥ الذى يعد من أكابر الفلاسفة المتصوفين ويكفى أن نعلم أن كتابه (الانسان الكامل) يعد دستور المتصوفين الذين شاركوا ابن عربى فى فلسفته . وقد اعتبره ابن الاهدل (من قدماء أصحاب الشيخ الجبرتى)[2] ويقول فى وصفه (هو أعلمكم فى ذلك البحر — يعنى القول بالاتحاد ووحدة الوجود — وقد اجتمعت به قبل أن أعرف مذهبه بأبيات حسين . حكى لى عنه فقيه صادق أنه صحبه فى بعض أسفاره فسمع منه الثناء العظيم على ابن عربى وعلومه وكتبه وسمع منه التصريح بربوبية كل

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الاهدل : تحفة الزمن (مخطوط)

من يلقاه فى الطريق من إنسان أو طائر أو شجر)[١] وسندرك خطورة هذا الرجل إذا عرفنا أن كتبه تسبح فى فلك فلسفة ابن عربى وأن بعضها ليس إلا شرح عليها أو تكملة لها ككتابه . (الاسفار عن رسالة الانوار)[٢] .

اتباع ابن عربى فى القرن التاسع

على أنا إذا تتبعنا أسماء المنتمين إلى مدرسة ابن عربى من أهل اليمن خلال هذه الفترة فسنجدهم جماعة من الصوفيه تشبعوا بحب ابن عربى دون أن يكلفوا أنفسهم فهم مذهبه وما وصل إليه ومن ثم أتى انتمائهم إليه بمجرد أعجاب شكلى لا يتعدى المضمون فهم لم يدخلوا معه فى مشاركات علمية تضيف جديدا إلى هذه الفلسفة لا من حيث المشاركة فى التصنيف ولا من خلال المناقشات العلمية .

وقد ظهر من شاكلة هؤلاء جماعة كثيرة سنكتفى منهم بذكر أولئك الذين عاصروا معمعة النزاع بين الفقهاء والصوفية ، وسنعتبر ثبات أولئك على مبدأهم الصوفى دليل قوى على انتمائهم لمدرسة ابن عربى وتشبثهم بتعاليمه .

فمن هؤلاء الصوفى اليمنى أحمد المعيبدى الذى لم نظفر له بترجمة خاصة وهو غير الوزير أحمد بن عمر بن معيبد الذى تولى الوزارة للملك الأفضل سنة ٧٩١ وامتدحه ابن المقرى فى ديوانه[٣] وترجم له الخزرجى وبامخرمة[٤] أما المعيبدى المقصود هنا فقد أشار إليه الأهدل فى تاريخه وعده من أصحاب الشيخ اسماعيل الجبرتى وقال (هو من أهلكهم صح عنه أنه قام فى سماع وأخذ الدف وقال هذا عندى أفضل من منهاج النووى)[٥] وفى موضع آخر وصفه بأنه من أعرف

---

(١) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٤ .

(٢) رسالة الانوار من مؤلفات ابن عربى .

(٣) ابن المقرى : مجموع ابن المقرى ص ١٦٥

(٤) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١١

(٥) الاهدل تحفة الزمن (مخطوط)ويعنى بمنهاج النووى كتاب (منهاج الطالبين من أمهات كتب الشافعية فى الفقه تأليف العلامة يحيى بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦ .

أصحاب الجبرتي بكتب ابن عربي . توفى فى حدود سنة ٨١٥ هـ - .

ولعل هذا الرجل هو أكثر زملائه معرفة بعلوم ابن عربى بدليل تلك الحملة التى شنها عليه ابن الأهدل ووصفه له بالاطلاع على كتب ابن عربى وفهمها .

أما بقية الذين عاصروه من المنتمين إلى مدرسة ابن عربى فهم الذين وافقوه من حيث الشكل كما أشرنا سابقا وقد ذكر المزجاجي جماعة منهم كالشيخ عبد الله ابن عمر المسن . من أصحاب الشيخ الجبرتى وربما وقف عنده الأشهر الطويلة وكان من العلماء المتفننين والأولياء الكبار (وله فهم صحيح فى كتب الشيخ ابن عربى وحصل منها عدة كتب ككتاب (الفصوص) وشرحه للشيخ مويد الدين الجندى وشيء من الفتوحات المكية وغير ذلك لما اتضح له فيها من الفهم وتحقق المعنى وصحته عنده وكان له فى الشيخ محي الدين ابن عربى اعتقاد حسن)[1] .

ومن هؤلاء الشيخ قطب الدين مزاحم بن أحمد بامزاحم من أهل مدينة (بروم) القريبة من مدينة الشحر وكان يتردد إلى مدينة زبيد للاجتماع بالشيخ اسماعيل الجبرتى (واستعار منه كتاب « الفتوحات المكية » للشيخ محي الدين ابن عربى ونقله فى مدة قريبة)[2] .

وآخر من نذكرهم من أصحاب ابن عربى المنتمين إليه روحيا من أهل اليمن الشيخ عبد اللطيف بن محمد بن إبراهيم الواسطى وقد سعى إلى مكة لغرض الحصول على نسخة كاملة من كتاب الفتوحات المكية وكان قد (سافر من مدينة زبيد إلى مكة المشرفة على قدم التجريد لا يملك شيئاً من المال ثم إنه حصله بخطه

---

(١) المزجاجي : هداية السالك (مخطوط) .

(٢) المصدر السابق .

فى سنة واحده)[1] .

ولا نجد فيما اوردناه من تراجم هؤلاء ما يوحى لنا بمشاركتهم فى تعاليم ابن عربى من خلال الكتابة والمناقشة ، وكل ما فى الامر لا يعدو تأييد أن يكون شكلياً لفكر ابن عربى والتقرب إليه عن طريق اقتناء كتبه واظهار الاعجاب بشخصيته كما اسلفنا سابقاً واعل بعد هؤلاء عن المشاركة فى تراث ابن عربى يعود إلى سببين رئيسيين لا ثالث لهما إما لقصور افهامهم عن استيعاب ما وصل إليه ابن عربى من أفكار فلسفية معقدة واحيانا مضطربة .. وأما تحاشيا من غضبة الفقهاء نحوهم وخاصة وأنهم عاصروا شدة نفور الفقهاء واظهار الافكار عليهم : وقد رأينا ابن الرداد وهو فى مركز القوة (حيث تولى زمام القضاء العام) يساهم بما يشبه المشاركة فى تعاليم ابن عربى حيث عدله ابن الاهدل عدة مسائل نحا فيها منحى ابن عربى كقوله (بجواز اتصاف العبد بصفات ذات الحق تعالى)[2] وقوله (بقدم الفقر واتصافه بصفات الازلية)[3] ومن مسائله أيضاً (تحقير قول لااله الا الله)[4] بل نجد له رسالة مفرده عالج فيها مسائل الصوفية بكل شجاعة[5] .

ويقول ابن حجر ان (شعر ابن الرداد ينعق بالاتحا وأنه افسد عقائد كثير من الناس)[6] .

وكأن ابن الرداد حين رأى عجز فريق الصوفية عن مجابهة الفقهاء اضطر إلى ان ينوب عنهم بعد أن ضمن لنفسه اكبر سلطة يمكن ان تحكم عليه وهى سلطة القضاء الاكبر وكذا كتب ابن الرداد مؤلفاته تلك وهو فى شجاعة امة .

---

(١) المصدر السابق (مخطوط) .

(٢) ، (٣) ، (٤) الاهدل : تحفة الزمن (مخطوط) .

(٥) السخاوى : الضوء اللامع ج ٧ ص ١٦٣ .

(٦) ابن حجر ابناء الغمر ج٣ ص٢٧٨ .

أسباب انتشار فكر ابن عربى خلال هذه الفترة

على الرغم من عدم وجود العلماء المنتجين من مدرسة ابن عربى فقد حظى تراثه فى اليمن باقبال كبير . وقد المحنا فيما سبق إلى إنتشار تعاليم ابن عربى فى مدينة زبيد خلال القرن الثامن والتاسع حتى أصبحت كتاباته مشاع لكل طوائف الصوفية باليمن بما فيهم أولئك العوام الذين ارتكبوا هفوات يبرىء منها الصوفية أنفسهم ولا تعليل لذلك سوى هذا الإقبال الشامل الذى لقيه فكر ابن عربى .

ولقائل ان يقول ما السر فى انتشار تعاليم ابن عربى وكثرة انصاره خلال هذه الفترة من دون غيرها من الفترات مع تصدى الفقهاء لهم ومضايقتهم فى أكثر الاحيان . وهذا السؤال أول ما يتبادر إلى الذهن حينما ندرك ذلك النزاع الشديد بين الفريقين اثناء هذه المرحلة .

على إنى ساحصر أسبابه فى أمرين رئيسيين : ـ

أولهما : كثرة الوافدين إلى مدينة زبيد واليمن عامة خلال العصر الرسولى بما يحمله أولئك من نحل وأفكار مختلفة وقد أتوا فى صور دراويش وزهاد متنسكين فاعتقدهم العامة وأصبحوا موضع احترام حتى إذا تمكنوا من نفوسهم بثوا فيهم الأفكار الصوفية بما فيها تلك العقائد الفلسفية ومن هنا جاء قبول العامة للتصوف وإنتشاره بمدينة زبيد وسنرى فى فصل مستقل كيف كان أثر هؤلاء القادمون على الحياة الصوفية فى اليمن وتحبيذهم لتعاليم ابن عربى وغيره من صوفية الفلاسفة الإسلاميين

ثانيا : ذلك الانفتاح التام الذى عرفته هذه الفترة ووجود الحرية الكاملة فى استيراد شتى الثقافات وقد غصت زبيد فى عصرها الذهبى خلال حكم بنى

رسول بكثير من الأفكار التى تحملها الكتب المختلفة الاتجاهات بما فيها كتب ابن عربى وإتباعه وقد ذكر الاهدل جماعة من الصوفية الذين استقدموا كتب ابن عربى من بلدان مختلفة واعتنوا بها العناية التامة أمثال المزجاجى الذى يقول عنه ابن الاهدل — حصل كتب هذه الطائفة — أى إتباع ابن عربى لقوته على ذلك باليسار فحصل الفصوص وشروحه والفتوحات المكيه وغير ذلك من كتب تلك الطائفة فأولع الصوفية بمطالعتها) على ان المزجاجى يعترف هو نفسه باقتناء هذه الكتب ويذكر ذلك فى معرض كلامه مفتخرا كذكره قصة حصوله على نسخه كامله من كتاب الفتوحات المكية ودخولها مدينة زبيد يقول اثناء حديثه عن الواسطى السابق الذكر (وكنت قد حصلت نسخة كاملة بمدينة زبيد من كتاب الفتوحات وجدتها عند الفقيه شهاب الدين أحمد الفارسى)[٢] .

ولم ينحصر إقتناء كتب ابن عربى على فئة الصوفية وحدهم بل نجدها فى خزائن ملوك بنى رسول وقد ذكر المزجاجى أنه توجد نسخة من (الفتوحات المكية) بمكتبة السلطان الناصر بخط مؤلفها يقول فى حديثه عن المراغى (وقد حصل من الفتوحات نسخه جيده لنفسه ثم قابل النسخة وضبطها واجتهد فيها غاية الاجتهاد واتفق لنا وله نسخة من الفتوحات المكية من مولانا السلطان الملك الناصر اعارنا أياها لتقابل عليها من الخزانة المعموره وعلى اجزاء منها خط المصنف الشيخ ابن عربى)[٣] ويؤيده فى هذا الصدد معاصره الشيخ المرشد إبراهيم ابن عبد القادر القارى البغدادى الذى زار اليمن وذكر (أنه اجتمع فى خزانة الناصر على مابلغنى من مصنفات الشيخ ابن عربى مالم يجتمع فى خزانة غيره من

---

(١) الاهدل : تحفة الزمن (مخطوط)

(٢) المزجاجى : هدية السالك .

(٣) المصدر السابق .

آبائه السلاطين المتقدمين كالاشرف والافضل والمجـــاهد والمؤيد والمظفر والمنصور)[1] .

ثم طفت موجة كتب ابن عربى فى مدينة زبيد وأصبح الناس يجدونها فى الاسواق تباع وتشترى — كما يقول ابن المقرى مخاطبا فقهاء عصره

تباع وتقرى هذه الكتب فيكم   وأنتم سواء والذى فى المقابر[2]

---

(١) القارى مناقب ابن عربى ص ٦٤ .

(٢) ابن المقرى : مجموع ابن المقرى ص ١٤ .

النزاع بين الفقهاء والصوفية في اليمن

نشأة النزاع بين الفقهاء والصوفية خارج اليمن

كان القرن الثالث الهجرى عصر الثقافات وازدهار العلوم الإسلامية وفى نفس الوقت كان زمن منافسة وجدال عنيف بين أصحاب المذاهب والفرق الطارئة على الاسلام وقد اشتهر فى هذا الوقت جدال علماء المسلمين للزنادقة وأصحاب الديانات المختلفة .

وقد خفت حدة النقاش بين المذاهب الإسلامية نفسها لضرورة التعاون الكلى أمام التحديات السافرة من قبل أصحاب الاديان الاخرى فى حين كان من المحتمل ان يكون هناك صراع بين تلك المذاهب الإسلامية نظراً لأنها كانت فى طور النشأة والمصارعة من أجل البقاء .

ومع ذلك لم نجد هناك نزاعاً عنيفاً إلا ماكان يدور حول مسائل فرعية بسيطة لاتؤدى فى كثير من الاحيان إلى احتكاك شديد .

ومن هذا النقاش ماجرى فى ذلك العصر بين الصوفية وأهل السنة وهو أول صراع يدور بين هاتين الطائفتين وقد تزعم ريادته طائفة الحنابلة الذين عرفوا بكفاحهم الشديد حول العقيدة الإسلامية .

وكان الإمام أحمد بن حنبل المنسوب إليه هذا المذهب هو أول شخصية فى الاسلام تنبهت لشطط الصوفية وانحرافهم وقد رأيناه يتهم بعض المنتمين إلى المذهب الصوفى ويصمهم بالخروج عن الدين نهائيا ويقال أنه لما سمع المحاسبى — احد الصوفية فى عصره — يتحدث فى شىء من علم الكلام والصفات هجره

فاختفى المحاسبى فى بيته إلى أن مات وكان ابن حنبل يقول (احذروا من الحارث — يعنى المحاسبى — أشد التحذير وكان يقول لأصحابه بعد أن سمع بعض كلامه لا ارى لكم ان تجالسوه[1] .

وهكذا كان الإمام أحمد بن حنبل أول من آثار النزاع بين الصوفية والفقهاء ثم تتالى بعد ذلك الانكار على هؤلاء من قبل العلماء ففى مصر انكر الإمام عبد الله بن عبد الحكم المتوفى ٢١٤ على ذى النون المصرى فهجره بذلك علماء مصر لما شاع أنه احدث علما لم يتكلم به السلف حتى رموه بالزندقة[2] .

وفى دمشق نفى أبى سليمان الدارنى حين سمع منه أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه وكذلك هرب أحمد بن أبى الحوارى لما شهد عليه القوم أنه يفضل الأولياء على الانبياء[3] .

ويستمر هذا الحـــال بالنسبة لسائر البلاد الإسلامية كبغداد والاندلس والمغرب وغيرها .

على أن مبتدأ إنكار الفقهاء على الصوفية يرتبط أساسا بتلك الأفكار التى احدثوها مما جعلت العلماء المتمسكين بالشريعة يرون فى أفكارهم الفلسفية خطراً يهدد حمى الدين وحتى لاينخرط الزمام وتصبح أصول العقيدة الثابتة لكل من هب من عامة الصوفية والمندسين فيهم يتلاعبون بها وفق خواطرهم وهو اجسهم

وقد نشأت هذه الحادثة فى التصوف أو الأمر على يد الحارث المحاسبى فى القرن الثالث الذى استعمل فى بعض كتبه مصطلحات الديانة المسيحية

---

(١) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ١٨٧ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) نفس المصدر .

(مما يدل دلالة واضحة على تأثره بالنصرانية)[1] .

ثم ظهر بعده جماعة من الصوفية تكلموا فى التوحيد والعقائد فخلطوا فيها وأثاروا عليهم حفائظ العلماء حتى كان منهم ما كان ويقال أن أول من تكلم فى علم العقائد والتوحيد من الصوفية هو أبو الحسن السرى المتوفى سنة ٢٥٣ ﻫ الذى يقال أنه أول من تكلم فى المقامات والأحوال وكذلك أبا حمزه محمد بن إبراهيم الصوفى المتوفى سنة ٢٧٠ ﻫ الذى كان أول من استحدث مصطلحات الصوفية المستعملة عندهم ثم تتابع جيل الصوفية من المتفلسفة حول خاطراتهم الصوفية فظهر فيهم صوفية كبار طوروا هذا المذهب أمثال أبو يزيد البسطانى الذى احدث لفظة (السكر) وأبو سعيد الخراز الذى كان أول من تكلم فى (الفناء) وحمدون القصار الذى ابتدع طريق الملامه وعنه انتشر مذهب الملامتية فى نيسابور وغيره كثيرون .

حتى أن هؤلاء الصوفية نجدهم قد خرجوا عن طريقهم الأولى التى هى مراقبة سلوكهم مع الله والخوف منه مع رغبة خالصة فى العبادة والزهد وقد تحولوا من كل هذا إلى فلسفات ومناهج تكاد تخرجهم عن سنن الدين الواضح ، هذا مع أنه (لم يكن فى مذهب أولئك القوم أول أمرهم شيء من مذاهب الذين جاؤا بعدهم)[2] .

وإذا تحققت هذه المسألة فلا غرابة أن يتشدد بعد ذلك الفقهاء على الصوفية بإعتبار انهم قد خرجوا عن القاعدة الشرعية فكان منهم ما كان حتى وصلت المسألة ذروتها بمقتل الحلاج وما حدث بعد ذلك فى أمره من نزاع ومشاده لانحب أن نخوض فيها لشهرتها ويكفى أن نشير إلى مقدمات جرت للفقهاء فى

---

(١) ادم متز الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع « هذا قوله ولعل فيه بعض الدس على هذا الإمام الجليل فيجب التحقق من هذه التهمة فى كتبه » .

(٢) المصدر السابق

امتحان الصوفية وكانت سبباً رئيسيا فى تطور النزاع بينهما . وقد شهد القرن الثالث أول بوادر هذا الشقاق وهو القرن الذهبي بالنسبة لازدهار التصوف ونشأته ففيه ظهر كبار مشائخهم المرجوع إليهم ومع ذلك لم يكن بهرج الصوفية وابهاماتهم مما ينخدع له الفقهاء فقد قدمنا فيما سبق أنهم انكروا على المحاسبين وذى النون المصرى والدارنى وغيرهم بعض من سلوكهم الصوفى وهؤلاء هم الجيل الأول من الصوفية الذين سلكوا النهج الفلسفى فى تصوفهم وقد عاصرهم جماعة من الصوفية لقوا نصيبهم من المعارضة فهذا أبا يزيد البسطامى كان يقول لى معراج كما كان للنبي (ص) معراج فذكر ذلك للفقيه حسين بن عيسى ، فأمر باخراجه من بسطام وظل مختفياً فى مكة حتى توفى هذا الفقيه ومن أوائل الصوفية الذين تعرضوا للمحنة سهل بن عبد الله التسترى الذى لقى من الناس مضايقة إلى أن اضطروه إلى الهجرة من مدينته وغيرهما كثير ويكفى ان نعلم ان بوادر النزاع بين الفريقين قد حدثت عند استكمال الصوفية تعاليمهم الفلسفية خلال القرن الثالث فكان (أهل السنة المتمسكين بالنزعة القديمة (السلفية) ينكرون على الصوفية تقديس الأولياء فى حين كان هؤلاء يزدرونهم ويشنعون عليهم بأنهم مشبهة وية)[1] . وكلما تطور الصوفية فى علومهم كلما اتسعت هوة الشقاق بين الفريقين وقد خلف لنا التاريخ الإسلامى أحداثا كثيرة فى ذلك لا أرانى فى حاجة إلى ذكرها إذ الموضوع من الضخامة بحيث يستحق ان يفرد ببحث مستقل ومع ذلك فسأتابع هنا هذه الناحية من زواياها الرئيسية لنعرف كيف واصلت الخصومة سيرها حتى انتهى بها المطاف إلى اليمن عند قوة الصوفية وضعف الفقهاء أو العكس .

وسيذكر تاريخ النزاع بأسماء أعلامه من الفقهاء الذين تصدوا للرد على الصوفية وعلى رأسهم الفقيه الجليل المحدث الامام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ﻫ الذى لمحنا فيما سبق إلى شىء من نزاعه مع المحاسبى وإنكاره عليه وتلاه جماعة من المنكرين على الصوفية منهم أولئك النفر الذين افتوا بقتل الحلاج وتلميذه

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٨ .

ابن الشلمغانى ويذكرون من هؤلاء الفقيه أبا عمر القاضى وهو أول من أفتى بقتل الحلاج وشاركه فى هذه الفتوى داود الظاهرى وجماعة من فقهاء القرن الثالث بل لم يقتصر الامر على الفقهاء وحدهم فقد تعداهم إلى طائفة الصوفية أنفسهم من المعتدلين الذين استهجنوا تلك الافكار الشاطحة من قبل الحلاج واضرابه أمثال الجنيد الذى يقال أنه كان من ضمن المفتين بقتل الحلاج والصوفى عمرو بن عثمان وابن سريج وغيرهم(١) .

ويعلل ابن الأهدل فى القرن التاسع مسلك أولئك الرواد من المفكرين على الصوفية فى القرن الثالث الهجرى بقتلهم الحلاج فيقول (لا شك أن من شهد الواقعة وعلم القصة فهو أعرف بالحال من المتأخرين فلولا أن الذين شهدوا الواقعة تحققوا حاله وثبت على الوجه الشرعى ما يقتضى القتل ما قتلوه ولاصلبوه معاذ الله أن يظن ذلك بعلماء الشريعة على رؤوس الاشهاد فكان ذلك إجماعا وصوابا فلا ريب فى تكفيره(٢) .

ويأتى هذا الكلام بقصد قطع الاقاويل التى ترى تسرع الفقهاء فى ذلك الوقت بقتل الحلاج وقد جاء مثل هـذا القول فى كلام المتأخرين من الصوفية وبعض الفقهاء .

على أن بدعة الحلاج قد انتشر شأنها وأخذت فى التفشى إلى أن وصلت أقاصى المغرب ولم تعد محصورة فى نطاقها الشرقى إذ وجدنا هذه المدرسة توصل جذورها فى الاندلس من خلال جماعة من معتنقى المذهب الحلولى فى القرن الرابع الهجرى أمثال ابن مسرة الذى اقتبس منه ابن عربى مذهبه الفلسفى منذ مدة مبكرة . وكان ظهور المنكرين من الفقهاء ضرورة حتمية أمام التوسع الفلسفى الصوفية

---

(١) الأهدل: كشف الغطاء ص ٢٤٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٠ .

فى تلك الاصقاع فكان يورور الفقيه اللغوى محمد بن الحسن الزبيدى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ كنكر واظهار ذلك فى كتابه المسمى (هتك ستور الملحدين)[١] الذى رد فيه على فلسفة ابن مسرة بـ .... بداية حسنة تعطينا دليلا قاطعاً على إنكار الفقهاء فى تلك الاصقاع على الصوفية ولا أغالى إذا قلت أن كتاب الزبيدى هو أول مؤلف خصص فى الرد على الصوفية وفلسفاتهم النظرية .

وهكذا نرى أن محنة الصوفية بالفلسفة قد عمت جميع الأوساط الاسلامية شرقيها وغربيها وما صاحب هذه الفلسفة من إنكار وتتبع من قبل الفقهاء الذين لم يسلموا لهم نظرياتهم حتى لانكاد ننتهى إلى العصور المتأخرة (القرن السابع وما بعده) إذ يطالعنا جمهور كبير من المنكرين كل منهم قد أخذ بجانب من الرد على الصوفية وقد ساعد على ذلك ظهور مؤلفات ابن عربى وانتشارها بين أيدى الناس فكان من السهل الوقوف على أدق نظرياتهم بعد أن كان جيلهم الأول يتخفى بها ويرى التباعد عن العلماء خشية من الاحتكاك معهم فى قضايا كلامية تجعلهم فيما هو أشد ومن هنا جاء ذلك الحشد الكبير من العلماء المنكرين على الصوفية الذين قامت شهرتهم على هذه الناحية ولعل أشهرهم العلامة تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ومن تلاه من تلامذة هم فى الحقيقة مغترفون من بحره وابن تيمية يعتبر مدرسة قائمة بذاتها فى نقد الصوفية

---

(١) أنظر مقدمة تحقيق (كتاب الواضح فى علم العربية) للزبيدى تحقيق أمين على السيد ص ٣٢ ومن الفقهاء الذين ناصبوا اتباع ابن مسرة العداء وردوا عليهم الفقيه محمد بن يبقى بن زرب المتوفى سنة ٣٨١ هـ يقول من ترجم له (تتبع أصحاب ابن مسرة الاستتابة من يعتقد مذهبه وأحرق ما وجد عندهم من كتبه ووضع كتابا فى الرد على ابن مسرة ونقض آرائه (الأعلام ج ٧ ص ٣٦٠) وحول موضوع ابن مسرة وقيام الفقهاء ضده فى الأندلس يراجع كتاب (شيوخ العصر فى الأندلس) للدكتور حسين مؤنس ص ٦٣ — ٦٥ .

وكانت منهلا رئيسياً لكل من تصدى للرد على هذه الطائفة بما فيهم علماء اليمن الذين عنوا بالرد على الصوفية . والمتأمل لكتابات هؤلاء فى هذا الصدد يجد أثر ابن تيمية واضحا عليهم . حتى أن هذا الاعتماد الكلى كان دافعا لأحد صوفية اليمن إلى القول بأن المنكرين على الصوفية ليسوا إلا تبعاً لابن تيمية يقولون بقوله ويوافقون على الخطأ والصواب[1] بل إن هذا الصوفى — وهو العلامة محمد بن محمد المزجاجى — يرجع مبتدأ الانكار على الصوفية إلى هذا الرجل[2] أعنى به ابن تيميه وهو قول فيه بعض الغلو ومجانبة الحقيقة اذ نجد الإنكار على الصوفية يعود الى ما قبل عصر ابن تيمية بزمن طويل كما أسلفنا ذلك فيما سبق .

وقد تركزت نظرية ابن تيمية فى نقد الصوفية على دراسة مؤلفات ابن عربى وتفنيد محتوياتها المخالفة وهو الذى أثار عليه قضايا رئيسية رددها كل من أتى من بعده من المتنكرين على الصوفية فكان العلامة ابن يتمية أول السابقين بكشفها .

ثم تبع ابن تيميه رعيل آخر من المنكرين منهم من أدركه وأخذ عليه كالعلامة محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ وإسماعيل بن عمر ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ ومحمد بن أبى بكر ابن القيم الجوزى المتوفى سنة ٧٥١ هـ[4] ومنهم من

---

(١) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط) .

(٢) المصدر السابق (مخطوط) .

(٣) تراجع هذه المسائل التى أثارها ابن تيمية فى كتبه التىخصصها فى الرد على ابن عربى ككتابه (الطريق الأقوم فى الرد على نصوص الحكم) و (الفرقان بين أوليا الرحمن وأولياء الشيطان) وفتاواه المختلفة .

(٣) من الغريب أن يأتى أكثر المنتقدين على الصوفية من المذهب الحنبلى فكأنهم بهذا المسلك قد قلدوا إمام مذهبهم الذى كان أول من انتقد الصوفية ولا غرابة فى ذلك فالحنابلة كما يقول الدكتور عدنان زرزور (تضيق صدورهم بمن عداهم من أهل المذاهب الأخرى) انظر كتاب (الحاكم الجشمى) ص ٤٧ .

وحول هذه المسألة يراجع بحثنا المخطوط بعنوان (ثورات الحنابلة) .

تأخر عصره عنه إلا انهم فى عمومهم يحومون حول السبيل الذى حام حوله ابن تيمية وسنفصلهم فيما يلى .

ففى القرن الثامن — وهو القرن الذى تلا جيل ابن تيمية — انفجرت معركة حامية الوطيس بين الفقهاء والصوفية فى مصر والشام وذلك كنتيجة حتمية للافكار التى بثها ابن تيمية فى التأليب على الصوفية . ونبغ فى هذا العصر أفذاذ من الفقهاء كان لهم دور رئيسى فى جدال الصوفية وموقف لا ينسى وسنقدر أهمية هذا الموقف وبعده العميق إذا أدركنا أن هذا العصر كان يمثل انتصار الصوفية على الفقهاء ورجحان كفتهم فى نزاعهم معهم الذى سيكون بداية عهود آمنة للصوفية يمارسون فيها شتى شعاراتهم بعيدا عن إنكار الفقهاء وإقلاقهم ، ومع ذلك فقد كان لمدرسة الحديث التى أحيا رسومها العلامة أحمد بن على بن حجر فى القرن التاسع فى مصر والشام أثر فى عودة الناس إلى الكتاب والسنة ونبذ البدع التى طرأت على المتمدينين من أهل هذا القرن وقد نبغ على يديه جماعة من المنكرين على الصوفية الذين تشبعوا بتعاليمه ومنهجه فى العودة بالناس إلى الأصول الإسلامية الأولى ومن هنا جاء نفر من التلامذة الاقوياء فطبقوا فكر شيخهم فى الانكار على الصوفية كالعلامة برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعى المتوفى سنة ٨٨٥هـ والعلامة عمر بن رسلان البلقينى المتوفى سنة ٨٠٥هـ وعبد الرحيم بن الحسين العراقى المتوفى سنة ٨٠٦ هـ وغيرهم كثير إلا أن هؤلاء كانوا اشهر من اعترض على الصوفية وكانت كتاباتهم مصدر قلق شديد للصوفية وقد تصدوا للرد عليهم فى أكثر من مناسبة من ذلك أنه لما أشتهر مؤلف البقاعى فى الرد على الصوفية المسمى (تنبيه الغبى بتفكير عمر بن الفارض وابن عربى) أثار هذا الكتاب المتصوفة فاخذوا ينظمون فى ذمه المقطعات الكثيرة وقد انتشرت حتى أصبحت تقال بين العامة كقول المنصورى « أحد شعرائهم » :

إن البقاعى بمـــا قد قاله مطاب
لا تحســـبوه سالما فقلبـــه يعاقب

وهو فى هذه الأبيات يشير إلى تلك الخصومة التى وقعت بين البقاعى وأحد مريدى ابن عربى وهو الشيخ عبد الوهاب بن محمد بن التاج الذى كان من كبار أتباع ابن عربى ومناصريه حتى وصفه أحد معاصريه (بأنه كان يطوف بـكلام ابن عربى على المجالس وفى الأسواق ويصرح باعتقاده بل قيل أنه صنف فى إيمان فرعون وكذا رد على البقاعى)[1] .

وما تلك الخصومة التى جرت بين الرجلين سوى مثال بسيط لتلك المجادلات التى عمت أوساط المثقفين خلال القرن التاسع وما بعده وقلما يخلو عالم من الخوض فى هذه المسألة حتى إننا نجد العلامة شمس الدين السخاوى من أهل ذلك القرن يعيب على كثير من الذين ترجم لهم[2] تأييدهم لابن عربى والمشاركة له فى علومه فى حين يذكر الذين أنكروا عليه بالثناء والتقدير ولا غرابة فى ذلك فالرجل كان من أبرز العلماء الذين انتجتهم مدرسة ابن حجر العسقلانى وهو نفسه قد وضع كتابا حافلا فى الرد على ابن عربى[3] .

وهكذا انتشرت قضية ابن عربى وأصبحت مما يؤرخ له بالسنين . يقول ابن اياس فى حوادث سنة ٨٧٥ (وفيها نشبت بين العلماء معركه فى أمر ابن الفارض وابن عربى كانت حامية الوطيس إذ ألفت الكتب ووضعت المصنفات فى تفسيقه بل تكفيره لمخالفته ظاهر الشريعة كما ألفت كذلك كتب فى الدفاع عنه ودحض

---

(١) السخاوى: الضوء اللامع ج٥ ص ١١١

(٢) فى كتابه الضوء اللامع السالف الذكر .

(٣) عنوان هذا الكتاب هو (القول المنبي عن ترجمة ابن عربى) وسيأتى ذكره فيما بعد .

كلام المعترضين عليه والمكفرين له) ومن الذين نقضوا عليه فى هذه السنة برهان الدين البقاعى وابن الشحنة وغيرهما كثير ومن مؤيديه والمنصفين له الشيخ زكريا الانصارى والشيخ الجلال ابن الكمال الاسيوطى وغيرهما . وذكر ابن أياس كتبا فى الرد على من انتقد عليه ككتاب قمع المعارض فى الرد على من انتقد ابن الفارض للسيوطى ودرياق الافاعى فى الرد على البقاعى لبعض العلماء ومؤلف آخر للبدر ابن الغرسى)[1] .

وفى هذا النص نجد دليلا حاسما على أن مسألة ابن عربى أصبحت من القضايا الهامة التى شغلت الرأى العام خلال القرن التاسع مما دفع العلماء المحافظين إلى الخوض فيها بكل قواهم .

على أن هذا القرن كان بمثابة الانتفاضة الأخيرة فى وجه الصوفية ولم تعد نشهد ذلك التكتل المشهود الذى يقوم به العلماء ضدهم وذلك بعد أن طفت موجة التسليم للصوفية والاستحسان لتعاليمهم بما فيها تلك العقائد (الشاطحة). وكان القرن العاشر والذى يليه هو عصر سلطة الصوفية وتقديس العامة لهم وقد اشتد نفوذهم على أثر احتضان ملوك آل عثمان [2] لتعاليمهم فلم يظهر هناك صوت يذكر فى الإنكار على الصوفية حتى انتهى بهم الأمر إلى التمادى فى رسومهم الصوفية والايغال فى فكر ابن عربى دون خشية من سلطة الفقهاء لإياس وغيرهم .

---

(١) ابن إياس — بدائع الزهور ج ٣ص ٤٧ . (نقلا عن كتاب الأدب الصوفى فى القرن السابع) لصافى حسين ص ١٠٤ .

(٢) يقول بلاسيوس (زاد سلاطين آل عثمان الاجلال لابن عربى اذ نسبوا الى بركاته وشفاعته الفضل فى جميع ما ظفروا به من انتصارات وخصوصا فتح القسطنطينية واعتقدوا ان ابن عربى تنبأ بهذا الفتح لهذا فان سليم خان أمر ببناء مسجدا باسمه وبناء مدرسة كبيرة على ضريحه) . انظر كتاب ابن عربى: حياته ومذهبه ترجمة عبد الرحمن بدوى ص٩٥ .

« نشأة النزاع بين الفقهاء والصوفية فى اليمن »

يتضح لنا مما سبق أن النزاع بين الفقهاء والصوفية كان أمرا شائعا عرفته المجتمعات الاسلامية من قبل ، وليس ظاهرة انفرد بها الفكر اليمنى وحده ففى الشام ومصر كان امره أقوى مما عليه فى اليمن وخاصة أثناء الفترة التى سبقت النزاع فى اليمن بمدة قصيرة حيث نجد ابن تيمية قد اذكى جذوة الشقاق إلى أن تحولت المسألة من جدال فكرى إلى حادثة تاريخية تحدثت عنها كتب التاريخ .

ولكن كيف كان أمر النزاع بين الفقهاء والصوفية فى اليمن وهل أتى ذلك دفعة واحدة أم له أصول تاريخية قديمة تدرج عنها حتى انتهى المطاف إلى ما انتهى إليه ، هنا يحتم علينا البحث قبل الدخول فى تفاصيل هذا النزاع أن نعرض سريعا للأصول العقائدية التى عرفتها اليمن قبل نشأة الصراع والتى تفرعت عنها المذاهب الدينية . وسندرك أهمية هذه المذاهب بالنسبة للصوفية عندما نعلم أن بعضها كان يقف موقف الخصم لكل المذاهب الطارئة على الاسلام بما فيها التصوف وعلى رأس هذه المذاهب جميعها المذهب الحنبلى الذى كان لاتباعه دور فعال فى مناهضة الصوفية إلا أنه من الحقائق التاريخية المسلم بها أن اليمن قد شهد ذلك المذهب منذ مدة مبكرة[1] بواسطة جماعة من معتقديه الذين دخلوا

---

(١) يقول المؤرخ بامخرمة فى نقله عن الجندى والخزرجى (الغالب على فقهاء جبال اليمن فى عصر الجندى وماقبله اعتقاد مذهب الحنابل وأما فى عصر الخزرجى فقد انتقل اعتقاد بعض الفقهاء الى مذهب الاشعرية لكنهم لايتظاهرن بذلك خوفا على أنفسهم من جهله بلادهم . يقول بامخرمة : واعلم أن علماء اليمن لم يكونوا يوافقون الحنابلة فى جميع معتقدهم من التجسيم وغيره نعم يوافقونهم فى القول والصوت والحروف ومن وقف على مؤلفاتهم فى أصول الدين لم يتوقف فى ذلك وأما اليوم فجميعهم أشعرية ومتظاهرون بذلك فلله الحمد والمنة) عاش المؤرخ بامخرمة فى القرن العاشر الهجرى .

اليمن فى القرن الثالث أمثال العلامة الحسين بن جعفر[1] المراغى وغيره .

على أن هذه المذاهب قد شهدت نقاشا عنيفا فيما بينها رأينا ذلك واضحا فى أكثر من حادثة كتلك التى وقعت بين العلامة يحيى ابن أبى الخير العمرانى المتوفى ٥٥٨ هـ وبين العلامة المتكلم جعفر بن أحمد بن عبد السلام المتوفى سنة ٥٧٣ ه وقد أسفرت المناقشة عن مؤلف جيد لابن أبى الخير العمرانى ضمنه الرد على ابن عبد السلام وهو بعنوان (الانتصار فى الرد على القدرية الأشرار) رد فيه على كتاب ابن عبد السلام المسمى(الدامغ للباطل من مذهب الحنابل)[2] هذا من حيث الجدال بين المذهب الحنبلى والمذهب الزيدى أما من حيث الجدل بين المذهب الحنبلى والمذهب الأشعرى فقد مثل هذه الحادثة العلامة ابن أبى الخير العمرانى السابق الذكر وابنه طاهر الذى كان يعتقد المذهب الأشعرى وكان بينهما جدال عنيف كان سببا فى هجر الابن والده والذهاب إلى مكة[3] ودون هذا الانتماء القوى الذى يفرق بين الابن وأبيه على أن الغلبة كانت فى النهاية للاشعرية[4] . ولم يعد للحنابلة شأن يذكر فى اليمن .

وهكذا كان الجدال بين المذاهب الاعتقادية فى اليمن سببا رئيسيا لاشغال العلماء عن الصوفية ردحا من الزمن حتى لم تكد تنتهى المهمة ويفرغ الفقهاء

---

(١) توفى سنة ٣٢٤هـ انظر ترجمته فى طبقات فقهاء اليمن لابن سمره ص ٨٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٠ وانظر حول مناظرة العمرانى لابن عبد السلام . . كتاب (السلوك) للجندى (ومطلع البدور) لابن ابى الرجال

(٣) الجندى : السلوك . ويقول البريهى فى تاريخه انه لما اظهر طاهر العمرانى العقيدة الاشعرية أجمع الفقهاء فى الانكار عليه وكان من ابرزهم الفقيه احمد إبراهيم البريهى الملقب بسيف السنة .

(٤) انظر ماجاء فى الهامش رقم (١) من الصفحة السابقة .

لانفسهم إذا بهم يجدون الصوفية بين ضهرانيهم يمارسون من المسائل الاعتقادية ماهو أشنع. فما كان منهم إلا أن أعادوا الكرة واتفقوا فى ما بينهم لمواجهة القوم وقد اتحد أشعريهم مع حنبليهم مع زيديهم فكان هذا النموذج المتجانس من الردود التى صبغت النزاع بطابع عجيب وكانت سببا فى وجود الفرقة بين الجانبين فالفقهاء قد أشهروا الأفكار فى وجوه الصوفية وتوغلوا فى ملاحقتهم كتابياً حتى كان ذلك مصدر نهضة فكرية عظمى خاض غمارها جماعة من علماء اليمن سنجدها أولا فى كتابات أهل القرن الثامن وهو عصر النزاع بين الفريقين. وهذه الكتابات تحتاج إلى دراسة مستقلة لما انطوت عليه من قضايا تاريخية وأخرى فكرية ستكون مرجعاً شاملا لمن يريد التوسع فى معرفة المجادلات الفكرية فى البلاد.

على أنى سأكتفى باستعراض المؤلفات دونما حاجة إلى الايغال فى دراستها إذ بعض هذه المؤلفات لا يعطينى الفرصة فى الحديث عنه بتوسع لعدم وجوده بحوزتى الآن فان أقدم مؤلف فى هذا الشأن — فيما أرى — يعتبر من الكتب المفقودة وهو كتاب (نصيحة المتكلفين وفضيحة المتكلفين)[1] . . للفقيه محمد بن موسى الذوالى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ وهو فى الرد على الصوفية وبيان تكلفهم فى أمور العبادة وقد كان هذا العلامة أول من أشهر[2] الإنكار على

(١) ذكره الخزرجى فى كتابه طراز أعلام الزمن (مخطوط) .

(٢) امل أول من كتب فى الرد على الصوفية من اليمنيين هو المؤرخ والفقيه محمد ابن يوسف بن يعقوب الجندى المتوفى ٧٣٢ ه الذى ينسب له السخاوى نص فتوى فى شان الطائفة الصوفية أوردها فى كتابه (القول المنبي عن ترجمة ابن عربى) ومما يؤيد هذه النسبة اليه تشنيعه الشديد على الصوفية فى كتابه (السلوك فى طبقات العلماء والملوك) من ذلك قوله (ان ابن عربى له معتقد غريب منه اعتقاده ان فرعون مات على الاسلام محقق وغير ذلك مما هو مشهور عنه فى كتبه وانكره اعيان الفقهاء) .

الصوفية بالكتابة وكان أكثر الجدال المستحر بينهم قبل الذوالى جرى بواسطة المناقشات والجدال الكلامى لا غير وهذا العلامة نجد ترجمته عند الكثير من مؤرخى اليمن[1] إلا أنهم لم يذكروا شيئا عن نزاعه مع الفقهاء ويبدو أنه كان مستترا فى الإنكار على الصوفية ولم يدخل حلبة الصراع إلا عن طريق قلمه الذى عبر به ن الإنكار دون أن يكلف نفسه مشقة الجدال الكلامى الذى قد يتطلب قوة بيان وفصاحة ، ومع ذلك كان الصوفية يرهبون جانبه وقد ذكر المزجاجى أنه حين صنف كتابه فى الرد على الصوفية أراد أن يعطى مصنفه هذا الخطيب عمر الدملوى[2] ليقرأه على الناس فى المنبر بعد صلاة الجمعة وقد استاء الصوفية من هذا العمل ودعوا إلى الله أن لا يتم ذلك (فحصل فى نفوس أصحاب الشيخ إسماعيل الجبرتى ما حصل وكنت — أى المزجاجى — ممن تأثر من ذلك فلما خرجنا يوم الجمعة لزيارة القبور ورجعنا إلى المسجد خطر لى أن أدخل على سيدى الفقيه على بن موسى الذوالى واعلمه بذلك وذكرت له ذلك فكان جوابه أن قرأ قوله تعالى (وليس بضارهم شيئا) فخرجت من عند سيدى وأنا مسرور بهذا الجواب سروراً عظيما فجئت إلى سيدى إسماعيل الجبرتى واعلمته بذلك فسر بجواب الفقيه مع أن سيدى الجبرتى ما كان معه اكتراث بذلك وتأثر منه بل كان ذلك مع الجماعة الاصحاب فلما صلينا صلاة الجمعة بالجامع وكانت نفوس

---

(١) انظر — مثلا — عند الخزرجى فى طراز اعلام الزمن وتاريخ البريهى وتحفه الزمن للاهدل وبغية الوعاة للسيوطي ص ١٠٨ .

(٢) هو عمر بن عبد الرحمن الدملوى .. خطيب جامع زبيد .يقول الخزرجى :كان اوحد زمانه فى الخطابة لم يكن فى عصره مثله فى ناحية من اقطار من اقام خطيبا فى جامع زبيد نحوا من خمسين سنة توفى سنة ٧٩٩ هـ : العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٢٩٥ .

بعض الناس متشوقة إلى ذلك مما قد شاع واشتهر من كلام الفقيه محمد الذوالي فما كان بعد الصلاة من ذلك شيء بل اضمحل ذلك الخبر وخمد فلم تظهر تلك المصنفة بعد ذلك ولا علم لها خبر)[1] ومن هذا النص يتضح لنا تأثر الصوفية بمعارضيهم من الفقهاء — ولا عبرة بقول المزجاجي أن الشيخ الجبرتي (ما كان عنده إكتراث بذلك) فلعله أراد أن يدفع عن شيخه تهمة الخوف من الفقهاء .

والمهم أن كتاب الذوالي كان فاتحة ردود عديدة وضعها بعده مجموعة من العلماء على الرغم من أن الكتاب قد ضاع في عصر المؤلف (ولم يظهر له علم ولا خبر) كما يقول المزجاجي .

وقد جاء بعده العلامة أحمد بن أبي بكر الناشري المتوفى سنة ٨١٥ هـ وهو حجة في نقد الصوفية سنعرض له فيما بعد عند حديثنا عن النزاع بينه وجماعة الصوفية ـ وكتابه في انتقاد الطائفة الصوفية بعنوان (بيان فساد مذهب ابن عربي) ركز فيه على عقائده (الشاطحة) وحلل مسائلها . ثم تلاه أبو بكر بن محمد الخياط (توفي سنة ٨١١) وكان أحد الدعامات الرئيسية في النزاع وقد اشتهر كتابه في الرد على الصوفية فأقامهم وأقعدهم وتصدى للرد عليه الشيخ مجد الدين الفيروز أبادي في كتابه (الاغتباط لمعالجة ابن الخياط) فكان هذا المسلك سببا في لمزه من قبل العلماء ووصفه بأنه (كان يحب المدارة)[2] .

أما وقد دخلنا غمرة النزاع فها هي قد تتالت المصنفات التي تفسر لنا ذلك النوع من الترف العلمي الذي وصل إليه اليمن خلال مرحلته الزاهرة بمدينة زبيد فجاء بعد الناشري الفقيه محمد بن علي بن نور الدين الموزعي المتوفى ٨٢٥هـ وكان من شأنه في الخوض في هذه المسألة ما سنذكره فيما بعد وكتابه في الرد على الصوفية بعنوان (كشف الظلمة عن هذه الأمة) حلل فيه حـــال

---

(١) المزجاجي : هداية السالك (مخطوط)

(٢) ابن حجر العسقلاني : (انباء الغمر) ج ٣ ص ٤٩

ابن عربى)[1] ونقده فى واضع من كتابه الفصوص يقول الاهدل (أن الموزعى قد سبق فيه الفقهاء بتحقيق حال ابن عربى بمطالعة الفصوص وغيره من كتبه وكتب أصول الدين[2]) ولا ندرى مايعنيه به الاهدل من قوله (سبق فيه الفقهاء) فاذا كان يقصد به السبق التاريخى فلاشك أنه تقدم الموزعى بعض الأعمال الرائدة فى نقد ابن عربى كما بينا ذلك سابقا وإذا كان يعنى به (السبق) بمعنى الاجادة والتبريز على من عداه فلاشك فى ذلك وقد كان كتاب الموزعى مصدرا لكثير من الذين تناولوا الصوفية بالرد كما هو الحال عند الاهدل نفسه الذى نقل كثيرا من كتابه)[3] .

ثم كان ظهور ابن المقرى واشتهار أمره فى مقالته بتكفير الصوفية من أتباع ابن عربى حتى كادت هذه الناحية أن تطغى على شخصية ابن المقرى الفقيـــه الأديب فلا أحد يذكر ابن المقرى إلا برده على الصوفية ومع أنه ترك فى نقد الصوفية مؤلفا مستقلا بعنوان (الرد على الطائفة الصوفية الغوية) إلا أن هذا الكتاب لايكاد يعرف بجانب قصائده السيارة فى تكفير الصوفية التى حفل بها ديوانه ويبدو أن هذا الكتاب قد جمعه من حصيلة السؤالات والجوابات التى كتبت حول شأن الصوفية ولم يعتمد تصنيفه كبحث مفرد .

على أن من آثار ذلك النزاع المحتدم بين الفقهاء والصوفية مؤلفات أخرى لاتزال تحفل بها المكتبة اليمنية وقد ذكر الأخ عبد الرحمن الحضرمى فى قائمة مصادر كتابه (جامعة الاشاعرة)[4] مؤلفا بعنوان (الأقوال الواضحة الصريحة

---

(١) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٧ .

(٣) انظر على سبيل المثال صفحة ١٧٧ ، ١٨٨ ، ٢١٨ من كتاب كشف الغطاء

(٤) عبد الرحمن الحضرمى : جامعة الاشاعر ص ٧٢ .

فيما أحدث بوادى زبيد من المناكر القبيحة) للفقيه موسى بن محمد الضجاعى المتوفى ٨٥١هـ ومع أننى لم أطلع على هذا الكتاب إلا أنى أكاد أجزم بأنه من ضمن الكتب التى تناولت الرد على الصوفية لأن الفقيه موسى المذكور كان أحد الذين ساهموا فى النزاع الشهير بين الفريقين فى القرن التاسع وقد وصفه السخاوى بأنه (كان من أكبر القائمين على منتحل مذهب ابن عربى فى اليمن بحيث أنه كان الخطيب فى جامع زبيد بالمنشور المكتوب بالاشهاد على الكرمانى بهجر كتب ابن عربى)(١) .

ومن بصمات الواقعة على المكتبة اليمنية أيضاً مؤلف العلامة الحسين بن عبد الرحمن الاهدل المتوفى سنة ٨٥٥هـ المسمى (كشف الغطاء) الذى يعتبر من الآثار الجيدة التى خلفها الفقهاء فى نقد الصوفية ومؤلفه كان قد أدرك ردحا من الخصومة التى وقعت بين الفريقين فى القرن التاسع وقد صور لنا شيئا منها فى كتابه المشار إليه وكتابه فى التاريخ المسمى (تحفة الزمن) وله مؤلفات أخرى حول هذه القضية سنعرض لها فى موضع آخر من الكتاب (٢) على أن الاهدل بما أقدم فى الرد على الصوفية إلا بعد أن عرف حقيقة حالهم وتمرس بأمورهم يقول (لم أزل فى شبيبتى وشيبتى اتصفح مذهبهم من كتبهم وكتب أهل السنة حتى اطلعنى الله على حقيقة مذهبهم وأنه اخبث النحل واكفر الملل) (٣) وقد توسع الاهدل فى الرد على الصوفية واعتبرت مؤلفاته فى هذا المضمار آخر الصيحات التى تعالت فى الرد عليهم من قبل الفقهاء أثناء نزاعهم الشهير فى القرن التاسع ، ويحق لنا أن نعتبرها القول الفصل بما تميزت به من استقصاء ومتابعة .

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ج ٩ ص ١٩٠ .
(٢) فى الملحق الخاص بتراجم أعلام النزاع وقد حذفناه بعد تضخم الكتاب .
(٣) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٣ .

وقد سكت الفقهاء بعد الاهدل بمدة طويلة ولم نعد نسمع صوت الانكار إلا بعد انقضاء زمن طويل على عصر التصادم فى القرن التاسع سكن خلالها الفقهاء فكف عنهم الصوفية .

إلا أن القرن العاشر بما عرف به من تحرك ملموس فى أمور السياسة والثقافة يعيد لنا سيرة النزاع الاول بينهما وكأن هذا القرن قد عرف شيئا من التصادم بين الفريقين على أثر قيام الامام شرف الدين بحملته السابقة ضد الصوفية. ففى هذا القرن ظهر كتاب الشيخ العلامة عبد الله بن عمر (بامخرمة) المتوفى سنة ٩٧٢ هـ (حقيقة التوحيد) وقد اطلع على هذا الكتاب المؤرخ يحيى بن الحسين فى القرن الحادى عشر (١) وجاء على أثره مؤلف الشيخ محمد بن يحيى بهران المتوفى سنة ٩٥٧ هـ المسمى (الكشف والبيان فى الرد على متصوفة الزمان) وهو استجابة واضحة لتبرير موقف الإمام شرف الدين فى اضطهاد الصوفية ومع ذلك فإن هذا الكتاب نادرا ما يذكر فى قائمة مؤلفاته وقد أيد نسبته إليه المؤرخ يحيى بن حميد المتوفى سنة ٩٩٠ هـ صاحب كتاب (نزهة الانظار) وغيره .

ولكثرة من أتى بعد بهران من العلماء الناقمين على نحلة ابن عربى الصوفية نرى أن نعددهم هنا فى هذه القائمة القصيرة مراعاة للاختصار :

١ — يحيى بن حميد بن الحسن المقرئى المتوفى سنة ٩٩٠ هـ وله (تعليقات) على كتاب ابن بهران المشار إليه سابقا .

٢ — أحمد بن شايع الدعامى اللوزى المتوفى سنة ٩٩٣ هـ وله مؤلف بعنوان (نصوص العلماء فى تخطئة الصوفية)(٢) وهذا الكتاب يفسر لنا وجهة النظر الزيدية فى معاداتها للصوفيه بصفة عامة .

---

(١) يحيى بن الحسين : بهجة الزمن (مخطوط) والاعلام ج ٤ ص ٢٤٩.
(٢) مطلع البدور (مخطوط) وأئمة اليمن لزبارة

٣ — يحيى بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠ هـ : فى مواضع من كتابه بهجة الزمن (مخطوط) .

٤ — صالح بن مهدى المقبلى المتوفى سنة ١١٠٨ هـ (العلم الشامخ فى إيثار الحق على الآباء والمشائخ) يراجع نقده للصوفية فى هذه الموسوعة الضخمة من صفحة ٤٩٠ إلى ٥١٠ .

٥ — أحمد بن عبد الله السلمى المتوفى سنة ١١١٦ هـ له مؤلف فى الرد على الصوفية(١) .

٦ — محمد بن إسماعيل الأمير المتوفى ١١٨٢ له مؤلف مفقود فى الرد على أهل وحدة الوجود بعنوان (نصرة المعبود فى الرد على أهل وحدة الوجود)(٢) وينظر رده على الصوفية أصحاب هذه النحلة فى عدة مواضع من كتبه ككتابه (فتح الخالق شرح ممادح رب الخلائق) وديوانه ص ٣٣٠ .

٧ - محمد بن على الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠ له كتاب فى الرد على أهل وحدة الوجود بعنوان (الصوارم الحداد القاطعة لأعناق أهل الاتحاد) وهو جواب على سؤال ورد عليه يقول فى وصفه (أوضحت فيه حال كل من هؤلاء الصوفية واوردت نصوص كتبهم وبينت أقوال العلماء فى شأنهم وكان تحرير الجواب فى عنفوان الشباب وأنا الآن اتوقف فى حال هؤلاء)(٣) .

والعلامة المقبلى وابن الأمير والشوكانى يغترفون جميعاً من مذهب الإمام محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ فى مسئلة الصوفية وغيرها . وقد أودع شيئاً من ذلك فى موسوعته الكلامية المسماة (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم) .

---

(١) زبارة . نشر العرف ج ١ ص ١٧٤ .

(٢) عبد الله الحبشى : مجلة العرب السنة ٧ ص ٤ ٧٨

(٣) الشوكانى : البدر الطالع ج ٢ ص ٣٤

٨ — وآخر من نذكرهم من الذين عنوا بالرد على الصوفية العلامة أحمد بن محمد الجرافى المتوفى سنة١٣١٦ الذى ترك فى هذا السبيل مؤلفا بعنوان (الدليل القهار فى الره على الصوفية الأشرار)(١) .

على أن كتابات المتأخرين لاتخلو من تلميح إلى مسئلة الصوفية وقد كان لمدرسة الشيخ محمد بن سالم البيحانى المتوفى ١٣٩٢ هـ السلفية أثر فى إحياء علوم السنة فى اليمن وله مصاولات ومجالات حول هذا الموضوع نكتفى من ذلك بقوله فى كتابه (أشعة الأنوار على مرويات الاخبار) الذى يرد فيه على الصوفية أصحاب الحلول يقول فى كلامه عن ابن عربى والحلاج (أما ابن عربى فهو الذى ملأ الاذان صيته وانتشر ذكره فهو وحسين الحلاج حالهما مخالف تماما لأحوال المتصوفين فى الاسلام فالشيخان حلوليان ويقولان بوحدة الوجود وفى كتاب الفصوص والفتوحات المكية وغيرهما من كتب ابن عربى ومايروى عنه من الأمور المخالفة للشريعة وكذلك مايروى عن الحلاج من الكفر الصريح كقوله (أنا الله ومافى الجبة إلا الله) فذلك مخالف تماما لتعاليم الاسلام ويستحقان عليه القتل والناس فى أمر الرجلين الحلاج وابن عربى فريقان احدهما يقر ماكان عليه ويزعم أنهما من أولياء الرحمن والآخر يقول كافران شقيان ومحسوبان من أولياء الشيطان ومن تمسك بالشريعة فى الحكم عليهما فهو ناج إن شاء الله ومن رضى بحالهما وتأول الباطل منهما فهو هالك وسالك بأشر المسالك)(٢) .

ولقائل أن يقول أين كان الصوفية أمام هذا السيل الجارف من الردود وهل فيهم من وقف أمام الفقهاء يعبر عن وجهة فريقه أم تركوا الحبل على الغارب واكتفوا من الغنيمة بالاياب ؟ هنا ندرك أن صوت الصوفية تجاه الفقهاء كان

---

(١) زبارة : أئمة اليمن فى القرن الرابع عشر ص ٢٨٠ .

(٢) البيحانى . — أشعة الانوار على مدويات الاخبار ج ٢ ص ٢٧٩ .

ضعيفا إلى الغاية من الضعف وأن القلة القليلة منهم الذين تصدوا للرد على الفقهاء كانوا فى حاجة إلى المصدر القوى الذى يدمغ حجج الفقهاء القوية وقد وجدناهم حين أرادوا نقد الفقهاء قد تخبطوا فى معميات من الافتراضات البعيدة التصور واعتمدوا على روايات وحكايات ضعيفة لا يسلم لهم بها خصومهم من الفقهاء حتى أن المزجاجى — وهو أول من تصدى للرد على الفقهاء بعد شيخه ابن الرداد أثناء الحادثة — يبنى كتابه على قاعدة واهية هى قاعدة التسليم للصوفية فى كل أفعالهم وأقوالهم ويربط كل ذلك بحسن الظن يقول مخاطبا ابن المقرى (ياأخى إذا كان حسن الظن بحجر جاد ينفع فما ظنك بمن أحسن ظنه بمؤمن أوولى من أولياء الله تعالى يكون النفع بذلك أعظم بلاشك ولا مرية وسوء الظن بالله تعالى وأهل الاسلام شركله)(١) .

ولكن يبدو أن المزجاجى فى رده على الفقهاء كان فى واد وهؤلاء فى واد وإلا فمن اين له بتسليم الفقهاء لقومه وهم فى دور المنتقد لهم المستريب بأفعالهم مع ماعرفوا به من المماحكة والمجادلة الشديدة فى مثل هذه القضايا التى تمس العقيدة.

وعلى كل فأمامى فى هذا المجال بضعة كتب أولها مؤلفات الشيخ أحمد بن أبى بكر الرداد والمتوفى سنة ٨٢١ فى الرد على الفقهاء وهى كالآتى : —

١ — (عدة المسترشدين وعصمة أولى الألباب من الزيغ والزلل والشك والارتياب) (٢) .

٢ — (الشهاب الثاقب فى الرد على بعض أولى المناصب)(٣) .

٣ — (السلطان المبين والبرهان المستبين فى ظهور الحجه على من كفر أهل

---

(١) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط) .

(٢)(٣) السخاوى الضوء اللامع ج ٧ ص ١٦٣ .

السماع من أولياء الله المقربين)(١) .

وله غير هذه الرسائل التى عالج فيها مشكلات الصوفية التى يثيرها حولهم الفقهاء كرسالته فى تحقيق قول بعض الصوفية (خضنا بحرا وقف الانبياء على ساحله)(٢) ورسالته فى معنى قول الشيخ أبى الغيث بن جميل (إن البلاد التى كنا قديما ليس فيها مطيعا لله ولا عاص بحال(٣)) وغير ذلك وقد جاءت هذه الرسائل فى الوقت المناسب حيث عاصرت شدة المعركة التى دارت بين الجانبين وكان الصوفية فى حاجة إلى الصوت القوى المعبر عنهم أمام تحديات الفقهاء الكثيرة ومن هنا جاءت رسائل ابن الرداد لتسد هذا النقص إلا أن ابن الرداد ما كان فى استطاعته أن يشهر قوله الصريح فى وجه الفقهاء لولا أنه حظى بمنصب القضاء العام الذى كانت تصدر عنه الاحكام الشرعية فجاء قوله قويا ومعبرا بكل شجاعة عن جماعته .

ثم جاء بعد بن الرداد تلميذه وزميله العلامة محمد بن القاسم المزجاجى المتوفى ٨٢٩هـ فكتب فى السنة التى توفى فيها ابن الرداد مؤلفه المسمى (هداية السالك إلى اسنى المسالك) وهو فى الرد على الفقهاء فى شخص ابن المقرى يقول فى مقدمته (هذه رسالة من العبد الفقير .... إلى الأخ فى الله سبحانه الفقيه شرف الدين إسماعيل بن أبى بكر المقرى سلمه الله تعالى وحفظه ووفاة وإلى كل من ينكر على الطائفة الصوفية نفع الله بهم الخ ...)، وهذا الكتاب من أهم ما وضع فى الدفاع عن الصوفية وسندرك أهميته إذا علمنا أنه كان إثر المعركة بين الفريقين خلال النصف

---

(١) المزجاجى . : هداية السالك (مخطوط) .

(٢) الضوء اللامع ج ٧ ص ١٦٣ ونسب الجيلى هذه القولة إلى الشيخ ابن جميل (انظر الانسان الكامل ج ١ ص ٧٤) .

(٣) المصدر السابق ج ٧ ص ١٦٣ .

الأول من القرن التاسع ، وقد كان المؤلف فى رده على ابن المقرى قد استعمل كل عبارات الأدب والتقرير بخلاف خصومه من الفقهاء الذين يغلب عليهم طابع الغضب والتشنج وقد دخل المزجاجى على خصمه ابن المقرى بمدخل الصديق الناصح والمرشد الذى يهمه شأن زميله ومن هنا جاءت عبارات المزجاجى سهلة سلسة تشم منها رائحة الإخلاص والبراءة على الرغم من ضعف الحجة التى يدلى بها وعدم استنادها على دليل قوى يشهره فى وجه خصمه .

وبالجملة فان كتاب المزجاجى هو الأثر الباقى المناصر للصوفيـــة من بين الآثار الكثيرة التى خلفتها لنا الأزمة الناشئة بين الفريقين والتى كتب أغلبها فريق الفقهاء وهو كتاب له قيمته القصوى بالنسبة لهذه الحادثة ليس من حيث قيمته الفكرية بل ومن الناحية التاريخية حيث ذكر معلومات تاريخية كثيرة عن الصوفية لا نجدها فى غير هذا الكتاب .

وبالرد من قبل المزجاجى على الفقهاء يلتزم الصوفية السكوت فلا أحد يظهر منهم بعد هذا التاريخ حتى تمر مرحلة طويلة نعدها بالقرون فيظهر منهم جماعة من المنافحين الذين أخذوا على أنفسهم قضية الصوفية والدفاع عنهم كالصوفى محمد بن طاهر الحداد المتوفى سنة ١٣١٦ هـ صنف كتابا بعنوان (الآيات الباهرة فى اختطاف الأفهم القاصرة) تلمس فيه الحماس المفرط للصوفية إلى درجـــة تخرجه عن الحد . ومنهم فى العصر الحديث الشيخ إسماعيل بن مهدى الغربانى مؤلف كتاب (نفس الرحمن فيما لاحباب الله من علو الشان) الذى خصصه فى الرد على من ينكر على الصوفية وهو مقسم على فصول وأبواب إلا أنه لا يعتمد فى أكثر الأحيان على المنطق العقلى الذى يأخذ به خصومه من الفقهاء ومن فصوله الرئيسية فصل فى الرد على من كفر المسلمين وفصل فى مشروعية تعظيم الأولياء والأنبياء وفصل فى مشروعية التبرك بالصالحين[1] .

---

(١) انظر هذا الكتاب وهو مطبوع فى عدن سنة ١٣٨٠هـ فى ١٧ صفحة .

أحداث النزاع التاريخية

المرحلة الأولى

رأينا فى فصل لاحق كيف تكونت مدرسة ابن عربى فى التصوف اليمنى خلال القرن السابع بعد مجيء المقدسى إلى اليمن وتجمع تلاميذه حوله أمثال ابن (البانة)[1] الذى كان له نفوذ قوى عند الملك الاشرف قبل توليه الملك وبعده. وكان المقدسى أكثر ما يجتمع بتلاميـــذه فى المدرسة العلياء المعروفة بمدرسة أم السلطان بمغربة تعز[2] (وكانوا يتذاكرون فى علم التصوف بما لا تحتمله العقول ولا تقبله)[3] وهو شيء غريب على أهل اليمن فلم يقبلوه منه (ونسبوه إلى الزندقة)[4] .

وشاءت الاقدار أن يشهد هذا الزمن أول نزاع حاد بين الفقهاء والصوفية عندما كان الفقيه أحمد بن عبد الدائم الصفى المتوفى سنة ٧٠٧هـ أحد فقهاء عصره المتمكنين من علمهم تلميذا لابن البانة السابق الذكر وقد حضر مع شيخه هذا ما يدور بينهم من نقاش فلسفى استنكره عليهم وعدد من مآخذهم مسائل أخفها (إنهم يشككون فى صدق القرآن ويقولون أنه ليس من كلام الله)[5] .

---

(١) ورد اسمه فى الكتب اليمنية فى عدة صور مختلفة ففى العقود اللؤلؤية يرد ذكره أحيانا هكذا (ابن التائه أو ابن النابة أو اليابة) ١ ص ٢٠٦ و٣٨٩ وغيرها) وفى كشف الغطاء بابن البابة ص ٢١٧ وفى مخطوطه هداية السالك بابن البابا وقد ضبطنا اسمه من مخطوط طراز أعلام الزمن بقلم مؤلفها الخزرجى .

٢ ـ و ٣ ـ و ٤ ـ و ٥ ـ الجندى : السلوك (مخطوط) .

فما كان من صاحبنا إلا أن اجتمع بزملائه من الفقهاء واسر لهم هذا الأمر الخطير الذى اقامهم واقعدهم . فاتفق رأيهم على الاجتماع فى منزل الشيخ أبى بكر بن آدم الجبرتى وكان رئيس الفقهاء فى عصره .

« فى منزل الجبرتى »

شهد هـــذا المنزل أول اتفاق منسق بين الفقهاء فى شأن الطائفه الصوفية الخارجين عن شريعة . يقول الجندى فى ذكر هذا الاتفاق (اجتمع الفقهاء إلى الجبرتى واخبروه بما شهد ابن الصفى فصعب عليه ذلك وقال له الفقهاء رأينا تبع لرأيك فأشر بما شئت فنحن ممتثلون وقم لله وإلا انتشرت هذه البدع يمرق الناس من الدين) وهنا انتهى رأيهم فى هذه الجلسة على خطة معينة يرقعون بها المقدسى وتلميذه ابن البانة)[1].

« خطة الفقهاء للقضاء على المقدسى وتلميذه »

عهدنا من الفقهاء التدخل دائما فى مثل تلك القضية التى تمس الشريعة فلا غرابة إذا أسفر اجتماعهم عن مؤامرة مبيتة تهدف إلى القضاء على المقدسى وابن البانة وإعدامهما بالكلية . ففى الاجتماع السابق شرح الفقيه الجبرتى خطته الرامية إلى ذلك بأن يذهبوا جميعا الى المغربة بقصد حضور صلاة الجمعة فى مسجدها الكبير على أن يترصدوا خطوات المقدسى وزميله فإذا جاء الصلاة — يقول الجبرتى — (أوقعنا بهما وقتلناهما وارحنا المسلمين منهما والإسلام) وينفض الاجتماع بموافقة الفقهاء جميعا على خطة الجبرتى بعد أن (اجابوه على الطاعة وتعاهدوا على ذلك)[2] .

« فشل المؤامرة »

ولكن المؤامرة لم تنجح اذ سرعان مانما هذا الخبر الى المقدسى وتلميذه

(١ ، ٢) الجندى : السلوك (مخطوط) .

الذين أخذا يعملان الفكرة لصد كيد الفقهاء نحوهم واتفقا على أن يستعينا فى هذا الأمر بوالى المدينة الأمير الواثق بالله ابن الملك المظفر الرسولى الذى زود المقدسى بجماعة من العسكر يحفظونه أثناء دخوله الجامع للصلاة .

وحين جاء وقت الصلاة حضر الجبرتى من (ذى عدينة) وكان يعمل مدرسا بها واجتمع بزملائه من الفقهاء الذين احتشدوا فى جامع المغربة على أمل وجود المقدسى وتلميذه ليوقعوا بهما كما تم الاتفاق بينهم سابقا فاذا بالمقدسى يدخل المسجد ومعه جماعة من الرجال يحرسونه بالسلاح فلم يتمكن الفقهاء من المساس به وفشلت الخطة . أما ابن (البانة) بما انطلى عليه من لباقه وحسن تصرف — وقد كان هو الذى أشار للمقدسى بالالتجاء إلى الواثق — فقد تسلل خفية من مدينة تعز بعد أن اكترى هجينا وتوجه من فوره إلى مدينة زبيد للاجتماع بالملك المظفر وإطلاعه على ما دبره الفقهاء .

وعند وصوله إلى مدينة زبيد ارتمى على باب منزل الامير الاشرف لعلمه بصداقته له وإدلاله عليه واستغاث به فى صورة مؤثرة حتى (استدعاه واستخبره عن أمره (١)) فاخبره بالقضية من أولها إلى آخرها وسنجد ابن البانه قد استغل صداقته مع هذا الأمير لغرض التوسط له عند والده الملك المظفر بشأن هذه القضية وقد وقف معه هذا الأمير وطلب منه تحرير مكتوب يشرح فيه ماجرى له ليقدمه عند والده .

« تدخل الدولة فى هذه القضية »

يقول المؤرخون أنه لما أتم ابن البانة كتابة التقرير الذى يشرح فيه حادثة الفقهاء معه هو وزميله المقدسى دخل بها الواثق إلى عند والده الملك المظفر الذى

(١) الجندى : المصدر السابق مخطوط .

حاله ما وصل إليه الأمر بين الفريقين فى مدينة تعز (وصعب عليه الأمر وخشى أن تنتهى المسألة بين الفقهاء والصوفية إلى شقاق كبير)[1] فكتب الملك المظفر إلى الفقهاء رسالة شديدة اللهجة يحذرهم فيها من القيام بمثل هذه الأعمال المقلقة لأمن الدولة وبعث بالرسالة إلى والى مدينة تعز بعد أن أمره أن يقرأها على المنبر ليسمعها جمهور الفقهاء وغيرهم .

أما نص هذه الرسالة التى كتبها الملك المظفر إلى الفقهاء فقد أورده جماعة من المؤرخين منهم المزجاجى الذى اطلع على أصل المكتوب فى ورقة قديمة جاء فيها :

(اظلمتم الضياء وخبطتم فى عشواء فاقتصروا عن هذه الاهواء واشتغلوا بالنصوص فانك يا ابن آدم[2] أعنى المتفقهة وأمثالك ممن هو فى تلك الجهة لم يحط علما بما فى كتابه ولو بهت أحدكم وسئل عن مسئلة فيها قولين لم يكن فى قدرته الجواب عنها حتى يكشف ويطالع وإذا كان يعييكم ما أفنيتم فيه أعماركم فكيف تخرجون إلى أهوية تقيمون لها أمثالا بظاهر ألفاظكم مما يستدل بها على على أهويتكم فاعتمدوا على الكتاب والسنة والصحيح من حديث رسول الله (ص) واتركوا التمسك بالموضوعات على النبى (ص) فلهذا علماء يوردون ويصدرون ولستم من ذلك النمط فى شىء فالحذر كل الحذر فمن حذر فقد اعذر فإن اقتصرتم والا قصركم السيف عن طول اللسان فإنما قصدكم التلبيس على العوام بقيل وقال)[3] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) يعنى به الشيخ أبو بكر ابن آدم الجبرتى :

(٣) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط) وانظر هذه الرسالة فى الجندى : السلوك (مخطوط) والاهدل كشف الغطاء ص ٢٢٩ .

« تعقيب على رسالة السلطان فى شأن الفقهاء »

لم يكن للدولة الرسولية فى ذلك الوقت سياسة دينية معينة فهذه الدولة لم تكن تحكم حكما دينيا (ثيوقراطى) كما هو الحال فى دولة الإمام وقد وقفت فى هذا النزاع موقف المحايد البعيد عن أى انتماء معين وهو الموقف الأصلح لها كدولة ترعى حقوق الأمة على اختلاف أنواعهم وخاصة وأنها أمام فئة ضعيفة من الصوفية حاول التجنى عليها جمهور كبير من الفقهاء بما عرفوا به من الشدة .

وقد كان السلطان فى رسالته السابقة مضطرا إلى أن يناقش الفقهاء بأسلوبهم المتبع عندهم فحاول أولا الطعن فى معارفهم وما وصلوا إليه إذ الواحد منهم (لو بهت فى مسألة فيها قولين لم يكن فى قدرته الجواب عنها حتى يكشف ويطالع) ويمضى طيلة ليلته ينقب و يفتش .

ثم عرض لعملهم الأهوج فى التجنى على الصوفية واعتبره من آثار عقولهم الضعيفة التى تتصور مسألة خيالية فتجسدها إلى عالم الواقع . إذ سرعان ما اختمرت فى أذهانهم مسألة تكفيرهم فحاولوا الإقدام على خطوة كبيرة هى القتل وهو الأمر الذى يعتبر تحديا للسلطات العليا وتدخلا فيما هو من اختصاصها وقد أشار إلى ذلك بقوله مستنكرا عليهم اقدامهم الخطير (كيف تخرجون إلى أهوية تقيمون لها أمثالا بظاهر ألفاظكم مما يستدل بها على أهويتكم) .

وأخيرا لم يبق أمام السلطان المظفر كسلطة عليا إلا أن يهددهم بما هو أشد من التحذير وهو القتل إذا لم يكفوا عن مثل هذه الأعمال المقلقة لأمن الدولة ولعل فى ذلك ما يردع من تسول له نفسه بالقيام بعمل مشابه لفعلتهم فالملك يقول (الحذر كل الحذر فمن حذر فقد انذر فان اقتصرتم والا قصركم السيف) وهذا غاية ما يأتى من الملك المظفر .

وقد يظن فريق الصوفية أن فى هذه الرسالة مناصرة لهم على الفقهاء ويستدلون

بها على تأييد الدولة الرسولية لهم كما رأينا ذلك صراحة فى قول المزجاجى عند عرضه للرسالة مخاطبا ابن المقرى (١) .

وليس الأمر كما اعتقد المزجاجى إذ المسألة هنا قضية جماعة خرجت عن نطاق القانون وكان الأولى ردعهم وتخويفهم بغض النظر عن انتمائهم وميولهم . وهذه هى الوسيلة الوحيدة أمام الدولة لضمان حرية القول لشتى فئات المجتمع .

« حالة الفقهاء بعد التهديد »

بعد سماع الفقهاء انذار الملك المظفر سكتوا عن الصوفية ولم نعد نسمع منهم إنكارا خشية من قيام الدولة بحملة تأديب ضدهم وخاصة وأن الإنذار كان شديد اللهجة وقد وصف الجندى حالة الفقهاء بعد سماعهم التهديد إنهم (تفرقوا وذهب أمرهم شغر بغر)(٢) أما العلامة ابن الاهدل الذى نسمع صوته بعد مضى ما يقرب من قرنين على الحادثة يستنكر على الفقهاء سكوتهم ويقول (كان ينبغى عليهم أن يجيبوا السلطان المظفر وينصحوه بكتاب لطيف ويظهروا له الحق ليرجع عن إنكاره عليهم)(٣) ولكن الفقهاء خشوا من عقبى هذه المراجعة والسلطان لا يزال فى ثورته عليهم وكان على الاهدل أن يقدر ظرفهم ذلك الحرج وبسكوت الفقهاء انتهت أول جولة من الصراع بين الفريقين .

« موقف الدولة الرسولية من النزاع »

على أن قصر مدة هذا النزاع واخماده وهو فى مرحلته الأولى لم يعطنا صورة واضحة عن وجهة الدولة الرسولية أمام تلك المنازعات بين الفقهاء والصوفية فقد سكتت الدولة ولم تظهر أى انحياز إلى أحد من الطرفين المتنازعين إلا من خلال

---

(١) المزجاجى : المصدر السابق (مخطوط)

(٢) الجندى : السلوك

(٣) الاهدل : كشف الغطاء

التهديد المرسل إلى الفقهاء وهو غير كاف لبيان موقفها حيث لم نجد فيه سوى تحركات شكلية لحفظ الهدوء ولا يجب أن يفهم بأنه انحياز إلى جانب الصوفية كما اشرنا إلى ذلك فيما سبق .

ولم نجد الدولة تتدخل فى مثل هذه القضايا إلا فى المرحلة الثانية من النزاع الذى وقع بين الفريقين فى منتصف القرن الثامن وما بعده وذلك لاستمرار هذا النزاع مدة طويلة واضطرار الدولة إلى الانحياز أحيانا أو إلى المحايدة أحيانا كثيرة وهذا ما سنبينه فى فصل آخر .

« المرحلة الثانية من النزاع بين الفقهاء والصوفية »

كان النزاع بين الفقهاء والصوفية فى القرن السابع أول حادثة من نوعها بين الفريقين وقد تركت آثارها فى النفوس ووجدت لها متنفساً فى أكثر من واقعة يصورها لنا التاريخ اليمنى . ومع أن المسألة كادت أن تنتهى بين الفريقين عند قيام السلطان المظفر بتهديد الفقهاء وردعهم إلا أنه ما كاد ينقضى هذا العصر حتى يعود الخصام بأشد مما كان وقد ذكر لنا أهل التاريخ اشياء من ذلك كثيرة[1] سيجدها الباحث فى النخل الجيد لمحتويات المخطوطات اليمنية . على أن حقيقة النزاع من حيث هو مجابهة كبرى بين الفريقين يبتدى فى القرن السابع عند قيام الصوفية بنشاط ملموس فى الدعوة إلى التصوف والتوسع فى فلسفاتهم النظرية والعملية ولم يعد من أمرهم التكتم فى تعاليمهم والتستر كما هو الحال عند جيلهم الأول من المتصوفة .

(١) من ذلك ماذكره الخزرجى فى ترجمة حسين بن أبى بكر السودى المتوفى ٧٠٤ يقول (كان فقيها صالحا وكان ينكر على القراء (الصوفية) الرقص والسماع فلذلك اجتمع الفقراء عليه ولم يزل حذرا من السلطان بعدأن وشى به انه يتصل بامام الزيديه) العقود اللؤلوية ج ١ ص ٣٦٦ .

وقد كان الصوفية فى هذه الفترة يتزعمهم الصوفى الكبير الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتى المتوفى سنة ٨٠٦ هـ وقد انضم إليه اتباع من الصوفية انتشر شأنهم وتكاثروا حتى اصبحوا يكونون قوة صغيرة لهم نفوذ وسلطة بجانب نفوذ الدولة ولم يقتصر أمرهم فى ممارسة نفوذهم المدنى على القضايا الدينية والشعائر الصوفية بل ٢ دى ذلك إلى القيام بإصدار احكام فى حق المخالفين من المناوئين والمعادين لهم مما يفسر لنا مدى سلطتهم القوية عند الدولة الرسولية ، يقول الخزرجى فى حوادث سنة ٧٩٧ هـ :

(وفيها أمر الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتى بضرب الشيخ صالح المكى فضرب بالسياط ضربا مبرحا ثم ان الشيخ إسماعيل استأذن السلطان فى إخراجه من اليمن فأجابه إلى ذلك وصرف أمره إلى أمير البلد فأرسل به الوالى إلى البحر وأمر نوابه أن يسافروا به إلى بر العجم)[1] .

ولا غرابة إذن بعد كل هذا ان يزداد نفوذ الصوفية وان يتوسعوا فى تعاليمهم دون خشيه من رقيب أو منكر عليهم .

---

(١) العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٢٧٢ ولعله نفس المشار إليه عند الشوكانى باسم صالح المصرى فقد ذكر ان هذا الشيخ كان ينكر على اسماعيل الجبرتى فتعصب عليه الصوفية حتى نفوه إلى الهند فقال أحد الشعراء ينكر على الجبرتى وجماعته فى قيامهم بنفى المصرى :

صالح المصرى قالوا صالح ... ولعمرى أنه المنتخب
كان ظنى انه من فتية ... كلهم ان تمنحهم تختلب
رهبط اسماعيل قطاع الطر ... يق إلى الله وارباب الريب
سفل حمق رعاع غاغة ... اكلب فيهم على الدنيا كلب

البدر الطالع ج ١ص ١٣٩ .

مراحل النزاع الاخير

. ن لذلك النفوذ أثر فى اسكات الاصوات المنكرة ولم نسمع الفقهاء رأياً معارضاً إلا بعد انقضاء مدة طويلة رأيناه أولا على شكل معارضه بسيطة يشيرونها من خلال مسائل فقهية صغيرة إلى أن تطور النزاع إلى نواحى أخرى وأصبح كل فريق يكفر الآخر بل لم يكتفوا بهذا فقد أخذوا يتعاطون التشهير علنا حتى دخلت القضية طورا سياسيا أوسع على أثر مشاركة الدولة الرسولية فى هذه الناحية وانحيازها مع بعض الفرقاء حينا م . الزمن .

وقد مر النزاع بين الفقهاء والصوفية بثلاث مراحل رئيسية تمثل كل مايجرى بينهما حتى خمود القضية وانتهائها . وقد رأينا تقسيمها على الوجه الآتى :

— المرحلة الأولى من سنة ٧٩٦ ه إلى سنة ٨١٧ ه

وهى المرحلة التى شهدت قيام الفقهاء بحملات ضد الصوفية واستفتى الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل فى شأن كتب ابن عربى ومطالعتها ثم خوض العلماء فى الإجابة على فتوى الناصر ومنهم العلامة مجد الدين الفيروز ابادى الذى تولى القضاء العـــام فى اليمن من سنة ١٩٦ إلى سنة وفاته وانحيازه إلى جانب الصوفية .

— المرحلة الثانية من سنة ١٨٧ ه إلى سنة ٨٢١ ه

وتمثل انتصار الصوفية على الفقهاء وتنكيل أولئك بهم على أثر تولى احـد الصوفية زمام القضاء العام وهو الصوفى الكبير أحمد بن أبى بكر الرداد .

— المرحلة الثالثة من سنة ٨٢١ ه إلى سنة ٨٣٧ ه

وهى فترة استعاده الفقهاء سيطرتهم وملاحقتهم لخصومهم ، ثم خمود . ـرة النزاع بين الفريقين بعد وفاة ابن المقرى سنة ٨٣٧ ولم يعد الفقهاء يعنون بالرد على الصوفية لاسباب تعود إلى ميل السلطة إلى الصوفية كما أشرنا فى فصل لاحق.

وقد كان النزاع فى جمله نوعاً من الترف العلمى الذى وصلت إليه البلاد فى العصر الرسولى إذ لم يعد الفقهاء يحصرون انفسهم فى دراسة المسائل الفقهية المجردة بعيدا عن الاحداث العلمية المعاصرة لهم وهذا مايفسر لنا تحول بعضهم من البحث فى مواضيع فقهية عادية إلى مجالات أوسع من الدراسات العلمية .

والان بعد أن حصرنا إتجاهات النزاع فى هذه المراحل الثلاث فما علينا إلا دراسة الموضوع من شتى اتجاهاته .

الحياة العلمية فى ذلك الوقت

ألمحنا فى قول سابق إلى أن النزاع بين الفريقين كان نتيجة طبيعية لتلك النهضة العلمية التى شهدتها اليمن خلال الحكم الرسولى ولم يكن النزاع محصوراً بين الفقهاء والعلماء وحدهما وكان كثيرا مايحدث بين أصحاب الفن الواحد وغالبا مايثار النقاش حول المسائل الفقهية فيشتبك الفقهاء فيما بينهم فى نقاش حاد وربما خرجوا من نطاق البحث إلى التحدى السافر لبعضهم البعض وقد ذكر (البريهى) ان العلماء فى عصره قد اختلفوا فى عدد تجديد بناء الكعبة فتبارى العلماء فى عدها حتى أوصلها العلامة محمد بن أبى بكر الخياط المتوفى سنة ٨٣٩ الى ١١ بناية فى مؤلف له بعنوان (التحقيق فى عدد بناة البيت العتيق)[١] وهذا نموذج بسيط وإلا فالشواهد على ذلك كثيرة وقد اذكى النقاش من زاوية أخرى سلاطين بنى رسول وقلما يخلو اجتماع لهم بالعلماء من نقاش يثيره أولئك السلاطين بما جبلوا عليه من حب المعرفة وقد أشار الخزرجى الى بعض مما يدور فى تلك المجالس من ذلك ماذكره فى حوادث سنة ٧١٦ يقول :

(فى يوم الاحد ٢٨ من شهر شعبان تهيأ السلطان الاشرف للصيام واخلى محلة دار النصر لحضور الفقهاء والقضاة والوزراء ومن يعتاد حضور مجلسه

---

(١) تاريخ البريهى : مخطوط

التشفيع فى شهر رمضان وكان الحاضرون مجلسه فى شهر رمضان يتنازعون فى تفضيل الرطب والعنب ايهما أفضل من صاحبه فحصل الاجماع بتفضيل الرطب على العنب وكان القائل بتفضيل الرطب على العنب فقهاء تهامة وأمراؤها وكان القائلون بتفضيل العنب على الرطب فقهاء الجبال وأمراؤها وقد اسند أهل الجبال أمرهم إلى الفقيه صفى الدين أحمد بن موسى التعزى وكان فقيها عارفا مدققا واسند أهل تهامة أمرهم إلى الفقيه شرف الدين إسماعيل بن أبى بكر المقرى وكان يتوقد ذكاء وكان حاضر هذه الواقعة حاكم الشرع الشريف القاضى عفيف الدين عبد الله بن محمد الناشرى)[1] .

إذن فالعصر كان فترة مناقشة علمية وأدبية فلا غرابة أن يأتى بعد ذلك النزاع بين الفقهاء والصوفية كصورة متممة للواقع الجدلى المعاش خلال تلك المرحلة الزاهرة من تاريخنا الثقافى فى اليمن .

وقد اشار إلى ذلك النزاع كثير من المؤرخين إلا أنهم نادرا ما يلتزمون التسلسل التاريخى لتطور الحادثة وهم غالبا مايشيرون إليه عند ذكرهم لاعلام النزاع الذين خاضوا غماره . مكتفين فى ذلك بالسرد المجرد الذى لا يسنده تحديد زمنى معين لذا فان حياة أولئك الاعلام وتحديد سنواتهم التى عاشوها هى الخيط الوحيد الذى يمكن بواسطته تتبع تطور النزاع من حيث هو احداث مجرده أما تراجم أولئك فسالحقها باخر الحديث فى فصل مستقل كما فعلت فى الفصل السابق[2] .

---

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج٢ص٢٦٣

(٢) ناقد وضعنا تراجم مفصلة لاعلام النزاع فى المرحلتين الأولى والثانية مع تراجم مستقلة للعلماء الوادين الى اليمن من الذين ساهموا فى النزاع الا إننا رأينا حذفها من هذه الطبعة حتى لايتضخم الكتاب على انى قد ترجمة لاكثر اعلام النزاع من المذكورين فى هذا الكتاب فى مؤلفى « تاريخ التراث اليمن فى العصور الاسلامية » « تحت الطبع »

المرحلة الاولى

وكان للنفوذ الروحى الذى حظى به الشيخ الصوفى إسماعيل بن إبراهيم الجبرتى أثر فى اعلاء شأن الصوفية واستعادة مكانتهم فى المجتمع اليمنى خلال القرن الثامن وكان ذلك أولا عن طريق تقربه للولاه من حكام بنى رسول الذين رحبوا به واحتضنوا تعاليمه الصوفية وكانت لهم ايادى فى تشجيع الصوفية بإقامة السماعات والاذكار .

وقد استهدفت حركة الشيخ إسماعيل الجبرتى — بجانب استعادتها مكانه الصوفية — القضاء على المناوئين لفرقته من جمهور الفقهاء وأصحاب الحديث الذين مازالوا يرددون الإنكار عليهم ويصفونهم بالخروج . العرف المألوف لصوفيـة الاوائل بإقامة السماع فى المساجد وتحويلهما إلى اماكن رقص وغناء .

على أنه ليس بايدينا قائمة بأسماء المنكرين وكل مانعرفه عده أسماء لا تمثل مجموعهم الكلى ولعل للرعيل الاول منهم هم اولئك الذين ادركوا حياة الشيخ الجبرتى من سنة ٧٢٢ إلى سنه ٨٠٦ وهم : —

١ — ابن القليل الذى انفرد بذكرة المزجاجى ولم اجد من اشار إليه غيره وقد جاء فى وصفه له بأنه (كان من الطلبة الجهل المقصرين)[١] وفى قوله بعض من التحامل لان المزجاجى كان معروفا بميله إلى الصوفية

٢ — أحمد بن ابراهيم بن على العسلقى المتوفى سنة ٨٠٦ وهو من العلماء الذين ردوا على الصوفية بشدة وقد ذكره الاهدل بأنه (كان لايخاف فى الله لومة لائم فى أنكار ماينكر من الشرع أنكر على الصوفية فى زبيد كابن الرداد وإتباعه وهم يومئذ أهل قبول تام عند السلطان فما بالى وربما هموا به بكروه فنجاه الله

---

(١) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط) .

وكان ابن الرداد يخوفه بسوء الخاتمة فمات المسلقى على الحال المرضى بالاتفاق على خلاف ابن الرداد فانه كانت منه هنات)[1] .

وللمسلقى قصيده في نحو ثلثمائة بيت رد بها على ابن الرداد فى نقده عليه رهى فى الإنكار على من يبيح السماع المعتاد عند الصوفية (ذكر فيها أدلة الكتاب والسنة على تحريم إجتماع الات اللهو من الغناء والدف والشبابه واختلاط النساء بالرجال)[2] .

٣ — أحمد بن أبى بكر بن على الناشرى المتوفى سنة ٨١٥ وهو احـــد الاعلام الرئيسين فى النزاع وله مع الصوفية صولات وجولات سنذكرها فيما بعد .

٤ — أبو بكر بن محمد الخيـاط المتوفى سنة ٨١١ . كان رئيس الفقهاء المتزعم الإنكار على الصوفية ويكفى ان نعلم ان (الفيروز اباذى) قد تصدى للرد عليه فى رسالته (الاغتباط بمعالجة ابن الخياط) لندرك أهمية هذا الرجل ولعله أول من أشهر الانكار على الصوفية بطريقة اغاضت الصوفية وقد عاصر القضية من بدايتها .

وقد شارك هؤلاء الفقهاء فى الانكار على الصوفية جماعة أخرى من زملائهم وكان لهم درر لا يستهان به فى القضية إلا أن كفاحهم الحقيقى تمثل فى المراحل الاخيرة .

على أنه من الانصاف ان نقول أن الفقهاء ما كانوا يحبون التورط مع الصوفية فى نزاع حاد وهم الذين كانوا يحسنون الظن بهم ويرون فى سلوكهم الخلقى نموذج

---

(١) الاهدل : تحفة الزمن (مخطوط) والضوء اللامع ج ١٠ ص ١٩٧ .

(٢) الاهدل : المصدر السابق .

يجب الاقتدا به وقد كان سلفهم يميل إلى ... رلية أ ... من ... إلى علماء الكلام بل نجد ظاهرة حسن الظن بالصوفية تطفو حتى عند أولئك النفر من المنكرين الذين ناصبوا إتباع ابن عربى العداء أمثال محمد بن على الموزعى المتوفى ٨٢٥ هـ وكان يميل إلى الصوفية وهو الذى اختصر كتاب (روض الرياحين) لليافعى ومنهم إسماعيل بن أبى بكر بن المقرى على الرغم مما شهر عنه من عدائه لإتباع ابن عربى فقد كان يردد الثناء على الصوفية المستقيمين منهم ويفرق بينهم فنسمع مثل قوله :

وخذ نهج سهل والجنيد وصالح	وقوم مضوا مثل النجوم الزواهر
على الشرع كانوا ليس فيهم لوحده	ولا لحلول الحق ذكر لذاكر
رجال راوا مادار دار إقامة	لقــوم ولكن بلغة المسافر
فاحيوا لياليهم صلاة وبيتوا	بها خوف رب العرش صوم البواكر
أولئك أهل الله فالزم طريقهم	و ... عن دواعى الابتداع الكوافر (١)

وحتى ابن الاهدل صاحب كتاب (كشف الغطاء) الذى رد به على الصوفية الفلاسفة فقد كان يثنى على الصوفية فى تاريخه العام ويذكر الكثير من كراماتهم وأحوالهم .

وهذا دليل سافرا على أن أولئك الفقهاء بما فيهم أولئك الذين تعرضوا للصوفية بالنقد — ما كان لهم النية ... المعارضة لولا أنهم وقفوا أمام الأمر الواقع الذى لا يجب السكوت عنه بعد أن خرج الصوفية عن كثير من القواعد الشرعية التى يلح الفقهاء على إتباعها .

وبجانب هذا الأمر الرئيسى فقد دخلت الدولة بكل ثقلها ... معمعة النزاع لتكون بعد ذلك عاملا من العوامل المهيجة على أنه لم يكن دخولها فى القضية

---

(١) ابن المقرى : مجموع ابن المقرى ص ١٣ .

من باب حفظ الامن والتوسط بين الفريقين . وإنما جاءت لتنحاز إلى جانب الصوفية الذين رأت فى وجودهم مرتكز شعبى تعتمد عليه وقد مر بنا فى فصل سابق كيف أن الميل إلى الصوفية قد توارثه ملوك بنى رسول أبا عن جد .

فالميل الذى يكنه الملك الاشرف إسماعيل بن عباس الرسولى للصوفية مما لا يمكن اخفائه بأى حال من الاحوال وقد صرح بذلك أحد من عاصر النزاع وهو صوفى محمد بن محمد المزجاجى الذى يقول (أن الملك الاشرف كان معتقدا للشيخ اسماعيل الجبرتى وأصحابه الصوفية ويحبه غاية المحبة)[1] ويؤيده فى هذا القول معاصرة ابن الاهدل الذى يرى فى ميل الملك الاشرف وولده الناصر إلى الصوفية محاباة تبعدهما عن عدل الملك بقول (وكان السلطان الاشرف ثم ولده الناصر يحابيان الصوفية)[2] ويربط هذه المحاباة بإنكار الفقهاء فيرى إنها سببا رئيسيا فى عدم جدوى إنكارهم فى مرحلته الاولى (فلم يكد يؤثر الإنكار) .

وكان الملك الاشرف قد عاصر النزاع وهو فى مرحلته الاولى فكان ميله إلى الصوفية سببا فى أحداث الفرقة بين الفقهاء أنفسهم وانقسامهم بين مؤيد للصوفية ومنكر عليهم ولا شك أن الفقهاء ما كان أغلبهم يميل إلى الصوفية لولا إنهم وجدوا السلطة تنحاز إليهم فاتبعوهم بحكم التقرب إلى السلطان والمجاملة له. وقد أفصح عن هذا الموقف ابن المقرى فى حديثه عن ميل الفيروزاباذى إلى الصوفية بقوله (أنه لما جاء إلى اليمن والشوكة للصوفية ساعدهم ووافقهم على ما يريدون)[3] وكان إنحياز الفيروز آباذى إلى الصوفية طعنة قوية فى ظهور الفقهاء الذين كانوا يرون أنه فى صفهم لتمكنه من علم الفقه وسائر العلوم الدينية

(١) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط) .
(٢) الاهدال : كشف الغطاء ص ٢١٧
(٣) المزجاجى : المصدر السابق .

والآدبية وما كان أحد منهم يظن أنه سيوافق الصوفية على أفكارهم ويثنى على ابن عربى فى رده على الفقيه ابن الخياط . وهذا ضعف فى شخصية الفيروز اباذى لمسه ابن حجر وحاول تشخيصه بقوله (ولم أكن اتهم الشيخ بمقالة ابن عربى إلا أنه كان يحب المداراة)[1] .

وسيظهر من شاكلة الفيروز اباذى كثير من الفقهاء يخذلون أصحابهم وهم فى شدة النزاع حتى ان الصوفية يجعلون من الإختلاف بين الفقهاء حجه اصالهم يشهرونها فى وجوه اعدائهم ونجدهم يعلون من مكانة المؤيدين لهم من الفقهاء بل نجد المزجاجى يجعل من سكوت بعض الفقهاء عن التعرض للصوفية دليلا على موافقتهم لهم كما هو الحال عند محمد بن عبد الله الريمى (المتوفى سنة ٧٩٠ هـ) الذى لم يؤثر عنه إنكار على الصوفية وكذلك لم يؤثر عن غيره من كبار فقهاء عصره أمثال إبراهيم العلوى وابنه سليمان وعبد اللطيف الشرجى ومحمد بن سعيد بن كبن وأحمد الذوالى وأبى بكر الرداد وعلى الناشرى وهؤلاء هم الذين ذكرهم المزجاجى محتجا بسكوتهم وبناء على ذلك بموافقتهم للصوفية إلا أن هذا ليس دليلا شافيا إذ كان بإمكان الفقهاء أن يجعلوا من هذا السكوت حجة فى صالحهم كما فعل خصومهم .

والقول الفصل فى هذا الباب هو أن سكوت الفقهاء كان تقيه ومسايرة لسياسة الدولة إذ كان البعض منهم يشرف على مصالح كبيرة كما هو الحال عند محمد بن عبد الله الريمى الذى كان يتولى قضاء اليمن العام .

ومع ذلك سنجد الدولة لا تتنكب جانب الفقهاء نهائيا وتحاول أن تستشيرهم فى كثير من القضايا المتعلقة بالصوفية على اعتبار انهم الممثلون للشريعة وقد كان هذا فى حقيقته عمل شكلى حتى لا يقال ان الدولة قد ركبت هواها فى مسألة

(١) ابن حجر العسقلانى : ابناء الغمر ج ٣ ص ٤٩

الصوفية فقد حدث (أن الملك الاشراف لما علم من بعض ال[illegible]ماء إنكارهم لسماع الصوفية كتب إلى قاضى القضاه شمس الدين بن صقر سؤالا يسأله عن حكم السماع فكان جواب القاضى أن وضع مصنفا حسنا فى إباحة السماع وجوازه)(١) وهذا القاضى كان من نفس النمط السابق الذى يتماشى مع سياسة الدولة حسب ظروفها وهو أحد كبار الموظفين الرسميين فقد تولى القضاء العام فى اليمن وسنجد له ترجمة عند بامخرمة الذى يقول (هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن صقر الغسانى عاش بالشام ثم حج وجاور بمكة فاخذ بها عن جمع من العلماء وعندما حج المجاهد حجته الاولى سنة ٧٤٢ ورجع إلى اليمن دخل ابن صقر المذكور اليمن بصحبته فافضل عليه المجاهد ثم ولاه القضا الاكبر فى ج[illegible] قطر اليمن فلم يزل مستمرا على ذلك إلى أن توفى المجاهد فلما تولى ابنه الافضل زاد فى رزقه ولم يزل مستمرا على القضا حتى عصر الأشرف ثم توفى فى آخر شوال سنة ٧٨٥ ه)(٢) .

وهكذا فان الدولة بعد أن قربت إليها كثير من الفقهاء وجعلتهم فى المراكز القضائية [illegible]لمامة كان على أولئك الفقهاء متابعة روسائها فى سياساتهم العامة والخاصة حتى كانت هذه المتابعة سمة خاصة بالفقهاء فى ذلك الوقت وقت وقد رأينا أحد الذين استنكروا عليهم هذا المسلك يصفهم (بالمحاباه والمداهنة فى دين الله .. [illegible]هذا غالب على فقهاء الو[illegible]ت)(٣) بل نسمع أشد من هذا القول فى نقد موقف بعض الفقهاء تجاه النزاع بين الفقهاء والصوفية كما سيتضح لنا فيما بعد وقد كانت أكثر منظومات ابن المقرى فى العيب على سلوك جماعته الذين التزموا الصمت وتركو[illegible] وحده فى الميدان يقارع الصوفية ومن ورائهم السلطه .

---

(١) المزجاجى المصدر السابق (مخطوط) .

(٢) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ص ١٩٩

(٣) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٧

وبالجملة فان التناقض فى موقف الفقهاء مما لاشك فيه وكان هذا احد العوامل التى ساعدت على انتصار الصوفية على خصومهم فى مرحلة النزاع الأولى والثانية ونجد عند أبى المقرى تصوير لذلك الموقف فى مقطع شعرى (يقول فيه على لسان قومه من الفقهاء) : —

فقام لربهم منـــا رجال   لهم فيه على الحق إستقامه
فاما الصالحون فما تلكوا   ولا قالوا نخاف من الملامه
وافتوا بالذى علموا وخافوا   وعيدا نال من رضى اكتتامه
وأما غيرهم فرعى امورا   وأثرها على يــــوم القيامة
وقال الشيخ أحمد لى صديق   وكل منه يفرط بالسلامة
فقلت الله عند سواك أولى   وأجدر من صديقك بالكرامة(1)

والشيخ أحمد المشار إليه هنا هو أحمد الرداد وكان يتولى القضاء أثناء نظم ابن المقرى شعره وهكذا يمضى الفقهاء المنكرون فى نعيهم على زملائهم عدم المناصره لهم .

ولم يبقى من الفقهاء المعارضين للصوفية سوى قلة تكاد تعد بالأصابع وقد ترأسهم فى المرحلة الأولى الشيخ أحمد بن أبى بكر الناشرى وهو نموذج الرجل الصلب المراس الذى تكون صلابته سببا فى إذيته واسباغ اللوم عليه من قبل الناس ويذكر من ترجم له أنه تولى قضاء زبيد فكان يخلع منه من حين لآخر ففى سنة ٧٨٦ ولى القضاء فخلع فى سنة ٧٩٠ ثم أعيد فى نفس السنة ثم انفصل فى سنة ٧٩١ ثم اعيد سنة ٧٩٣ ثم خلع وهكذا حتى أن السخاوى وهو يكرر هذه التوليات والعزل يستشهد بالقول المأثور (ماترك لى الحق من صديق)(2)

---

(١) ابن المقرى : مجموع ابن المقرى ص ٢٣

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ٢٥٧

ولعل سر هذا يعود إلى حده فى مزاج الرجل وعدم ملاينه للناس . هذه هى السمة العامة لكل أعلام النزاع من الفقهاء وقد أدرك خصومهم هذه الهنه فاولوا تجريحهم والعيب عليهم من خلالها وأنت تلاحظ ذلك فى قول المزجاجى مخاطبا ابن المقرى يقول (يا أخى حفظك الله الغضب والشحنا والمنافسة فى بعض الامور تفعل بالعاقل مثل هذا أو ترمى بصاحبها إلى هذا الحد)[1] وكانه بهذا القول يعرض بحدة امزجة خصومة من الفقهاء .

ونخرج من هذا كله إلى أن النزاع بين الفقهاء والصوفية قد ساعد فى إيجاده عدة عوامل محلية ونفسية حتى إذا حان الحين رأينا هذه العوامل تبدو جليه واضحة فى صورة ذلك التصادم الذى نحن بصدده وقد كان للصوفية صوله كبرى عند السلاطين الرسوليين وليس من السهل التغلب عليهم إلا عن طريق التأثير على حلفائهم الاقويا آل رسول وهذا مما يصعب حيث كان ملوكهم يعتقدون الصوفية وقد مر بنا كيف أن الملك الاشرف كان يحسن الظن بالشيخ إسماعيل الجبرتى وجماعته ومن بعده ابنه الملك الناصر أحمد بن الاشرف إسماعيل الرسولى الذى امتد حكمه من سنة ٨٠٣هـ إلى سنة ٨٢٧هـ وعاصر القضية وهى فى عنفوانها فلم يدخل فى النزاع إلا كمؤيد للصوفية وقد تمثل ذلك فى أكثر من موقف للملك الناصر لعل أولها ذلك السؤال الذى طرحه أمام الفقهاء بشأن إتباع ابن عربى وكان من الأسباب الرئيسية التى أثارت القضية من جديد واحدثت هوه بين فريق الفقهاء أنفسهم حيث اتت جواباتهم على السؤال مختلفة بين مؤيد للصوفية ومعارض لهم .

أما نص السؤال فقد أورده القارى وهو كما يلى : —

(ما تقول السادة العلماء شد الله بهم أزر الدين ولم بهم شعث المسلمين فى

---

(١) المزجاجى : هداية السالك مخطوط .

الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه وفى كتبـــه المنسوبة كالفتوحات والفصوص وغير ذلك فهل يجوز قراءتها واقراؤها وهل هى من الكتب المسموعة المقروئة أم لا افتونا ماجورين جوابا شافيا فيها لتحوزوا جزيل الثواب من الله الكريم الوهاب)[1] .

فأجاب على هذا السؤال مجد الدين الفيروز اباذى الذى كان الملك الاشرف قد خصه بهذا السؤال وحده من دون بقية الفقهاء .

ومن هنا يبدولنا أن الملك الناصر لم يستفتى الفيروز أباذى إلا لعلمه المسبق أن جوابه سيكون لصالح الصوفية حيث كان الفيروز اباذى يحبذ تعاليمهم ويحسن الظن بهم ومع ذلك فقد اتسع الجوابات من أكثر من جهه وكان من بين المجيبين الفقية ابن الخياط الذى عرف بعداته الشديد للصوفية فكان مطلع جوابه (قدآن لابن الخياط أن لاتأخذوه فى الله لومه لائم لايجوز ولايحل تحصيل كتب الشيخ ابن عربى لاقراءتها ولااقراؤها فانها مردودة على مصنفها)[2] وهكذا كان جواب ابن الخياط مناقضا لماذهب إليه الفيروز اباذى فكان من المحتم أن يرد عليه بقصد الدفاع عن نفسه ومن بين ردوده الكثيرة الرد المشار إليه آنفا بعنوان (الاغتباط لمعالجة ابن الخياط) على أنه أحد ردود ثلاثة أوردها الموجاجى فى كتابه ومن بين الذين تصدوا للرد على ابن الخياط ومناصرة الشيخ مجد الدين الفيروز اباذى قادم آخرا هو الشيخ محمد بن على الشيبى زد على ذلك أن كتاب (الدر الثمين فى مناقب الشيخ محيى الدين) ماوضع إلا بقصد الرد على ابن الخياط وذلك باشارة من أحد رؤسا الصوفية فى ذلك الوقت[3]

---

(١) القارى : مناقب ابن عربى ٦٤ .

(٢) المصدر السابق ٦٨ ويتضح من كلام القارى أن الملك الناصر خصه بسؤال مستقل اوله (مايقول الفقية فى الكتب المنسوبة الى ابن عربى . الخ . . . .

(٣) يقول القارى فى مقدمة كتابة (وبعد فهذه رسالة سميتها (الدر الثمين . . . وارسلتها =

ومؤلفة هو الشيخ المرشد إبراهيم القارى وهو أحد القادمين الذين اتوا إلى اليمن خلال معمعة النزاع . وهكذا يتضح لنا أن الوافدون قد لعبوا دورا هاما فى مسئلة النزاع وكانت مشاركتهم الفعلية بالدفاع عن الصوفية فى وجوه خصومهم من الفقهاء عاملا فى ميل الصوفية إليهم وتقريبهم اليهم وقد اجتمع عند الشيخ الجبرتى جمع كبير منهم من مختلف الاقطار وأغلبهم من بلاد فارس الذين كانوا يميلون فى اعتقادهم (إلى العلوم العقلية من غير معرفة بصحيح العقائد وفاسدها)[1] وكان من أبرز هؤلاء الشيخ عبد الكريم إبراهيم الجيلى الذى توفى فى زبيد نحو سنة ٨٢٦ ه ومحمد بن محمود الكرمانى الذى كان قدومه فى وقت متأخر من حياة الشيخ إسماعيل الجبرتى وقد قام بدور فعال فى القضية حتى أن معاداة الفقهاء للصوفية قد تركزت فى شخص هذا الرجل بما عرف به من جراءه حفزت عليه خصومه .

وعلى العموم فقد تظافرت هناك عدة عوامل على نصرة الصوفية وكانت سببا فى إسباغ الهزيمة على خصومهم الفقهاء فتعرض شيخهم أحمد بن أبى بكر الناشرى لعدة مضايقات (حتى أنهم سموا به إلى السلطان بكل ممكن من منعه من الفتوى واخراجه من زبيد وإعدام صورته بالكلية فحماه الله من شرهم)[2].

وهذه هى الحالة العامة التى وصل إليها الفقهاء فى مرحلتهم الاولى من النزاع مع الصوفية وهى حالة بؤس وعنا لا يكاد يسلم منها فقية ينكر على الصوفية شيئاً من تعاليمهم .

= إلى الصنو العزيز الحريز الشيخ شهاب الحق والدين احمد بن الرداد الصوفى اليمنى) فهو قد الفه الشيخ احمد الرداد .

(١) الاهدل : تحفة الزمن (مخطوط) .

(٢) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٠ .

ثم جاءت المرحلة الثانية من النزاع لترسخ سيطرة الصوفية التامة على الموقف بتولى شيخهم الكبير أحمد بن أبى بكر الرداد زمام القضاء العام وهـو أعظم المناصب الحكومية بعد مرتبه الامارة . وقد ظل هذا المنصب شاغرا مدة طويلة بعد وفاة مجد الدين الفيروز أباذى لم يشغله أحد من الفقهاء حتى سنة ٨٢٠ هـ وكان الملك الناصر ينوى توليته أحد مشاهير العالم الإسلامى وقد ذكر العلامة ابن حجر العسقلانى أن الملك الناصر كان يزمع إعطائه القضاء العام وهو لا يزال فى مصر (وقد تركه شاغراً هذه المدة منتظرا قدومه)[1] ولما لم يحضر[2] رأى أن يتولى القضاء أحد علماء اليمن وكان يتشوق إليه جمع غفير من الفقهاء وعلى رأسهم الفقيه إسماعيل بن أبى بكر المقرى[3] الذى كان يرشحه لهذا المنصب أكثر علماء زمانه لتمكنه التام من معرفة علم الفقه وتآليفه فيه إلا أن الصوفية راوا فى تولية ابن المقرى زمام القضاء خطرا يهددم (وخشى بعضهم أن يتمكن ابن المقرى من الانكار عليهم)[4] فما كان منهم إلا أن اسرعوا بطلب القضاء من الملك الناصر الشيخ أحمد بن أبى بكر الرداد وكان هذا من ذوى الحظوه عند الناصر

---

(١) ابن حجر أنباء الغمر ج ٣ ص ١٧٨

(٢) وصل ابن حجر العسقلانى إلى اليمن قبل هذا التاريخ مرتين الأولى سنة ٨٠٠ هـ والثانية سنة ٨٠٦ انظر مقالنا (العلماء القادمون الى اليمن فى العصر الرسولى) مجلة اليمن الجديد المحرم سنة ١٣٩٤ ص ٣١) .

(٣) كان ابن المقرى يطمع فى تولى القضاء ويقال أن الملك الاشرف عينه للسفارة الى مصر (فتأخر ذلك لطمعه فى الاستقرار فى قضاء الاقضية فلم يتم له وكان يرجو قضاء الأقضية فى حياة المجد الفيروز اباذى ويتحامل عليه) (البدر الطالع ج ١ ص ١٤٢)

(٤) انبأ الغمر

حيث (كان يجالسه في خلوة ، ويشفع عنده في مهماته)[1] بل أن الملك الناصر تزوج ابنته بعد ذلك[2] فأحضرهم إلى خلوته و... مسألة تولى ابن الرداد وسمية فيا تقف عند قولين متعارضين بالقول ... أن ابن الرداد (لم يسع إليه ولاتحيل لاستحصاله ولا خطر فيه ولا تشوف له)[3] ولم يقبله إلا بعد تمنع شديد وقد (وقف الملك الناصر يدعوه إليه ويحضه عليه وهو يعتذر ويستعفى فلا يعذره من ذلك)[4] أما القول الثاني فيذهب إلى أن ابن الرداد كان ممن سعى إليه (وبادر إلى طلبه من الناصر)[5]، وعلى كل فقد ارتضاه الملك الناصر فكان بهذا العمل قد أثار حفيظة الفقهاء الذين أخذوا يلمزون الملك الناصر في سلوكه ويتهمونه (بشرب الخمر)[6] وعدم المعرفة بحقيقة العلماء[7] وا اتفقوا جميعا على أن ابن الرداد غير صالح لتولى هذا المنصب الهام فقد كان (مزجى البضاعة في الفقه عديم الخبرة بالحكم)[8] أما ابن الاهدل فيرى أنه (ضعيف الأهلية لقلة العفة وعدم مراعاة وظيفة العلماء من التنزه .. من سماع

---

(١) ابن حجر أنباء الغمر ج ٣ ص

(٢) المصدر السابق .

(٣) البريهي : تاريخ البريهي (مخطوط)

(٤) الزجاجي هداية السالك (مخطوط)

(٥) — (٦) أنباء الغمر ج ٣ ص ١٧٨ .

(٧) من ذلك قول ابن المقرى (معرضا بالملك الناصر في عدم تفريقة بين شيخ التصوف وشيخ الفقه يقول :

اينصب شيخ للفتاوى فيكم كما الشيخ منكم للتصوف ينصب (ديوان ابن المقرى ٤٩) .

(٨) ابن حجر أنباء الغمر ج ٣ ص ١٧٨ .

الملاحدة المذكورين هم المجوس)(١) وكذلك ابن المقرى فقد سخر من تولى ابن الرداد القضاء وحاول التعريض به فى ميله إلى الرقص يقول :—

قام قاضى القضاء يا ملك العصر رقصاً ونورهم الزمان (٢)
وازن الرقص بالقضاء وتخير ارجح الحمرين فى الميزان الخ..

على ان قضاء ابن الرداد ليس كله سيئات كما يصفه خصومه فهناك بعض الحسنات التى أدخلها على خطته ، كسعيه فى استخراج اوقاف الفقهاء التى قد كانت الملوك قد ادخلته فى ذفاترهم وصيرته مصرته ، ورفع (الوفر) الذى كان يقتطعه الملوك من الوقف(٣) أما قاعدته فى ممارسة القضاء فقد أشار إليها المرجاجى بقوله (اذا جاءته الخطوط ومات الشهود اعتمد على روايته مطلقا) وفى بعض الحالات يأتى القاضى إلى مجلسه لتنفيذ الحكم عنده تورعاً منه أن يباشر الحكم بنفسه)(٤) .

وهكذا يبدو لنا ان الرداد كان عنده أهليه لتولى هذا المنصب الكبير وليس الأمر كما ذهب إليه خصومه إلا أنه قد اشتط فى حق اعدائه ولم يراعى معهم الانصاف الذى يتطلبه منصبه حتى اصبح توليه القضاء من أكبر المحن التى قاسى منها الفقهاء وقبل الدخول فى تفاصيل أعماله الانتقامية ضدهم يجب ان نشير إلى أن المقاومة من قبل الفقهاء ظلت مستمرة بعد وفاة رئيسهم أحمد بن أبى بكر الناشرى ولم ترهبهم مكانة الصوفية التى وصلوا إليها فى عهد شيخهم ابن الرداد وكان من اعلامهم فى هذه الفترة ثلاثة أشخاص تزعموا الحركة ضد الصوفية وهم :

---

(١) ابن الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٧ .

(٢) ابن المقرى : مجموع ابن المقرى ص ٢٤

(٣) البريهى تاريخ البريهى (مخطوط) .

(٤) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط) .

١ — محمد بن على بن نور الدين الموزعى المتوفى ٨٢٥ .

٢ — إسماعيل بن أبى بكر ابن المقرى المتوفى ٨٣٧ .

٣ — كمال الدين موسى بن محمد الضجاعى[1] المتوفى سنة ٨٥١ .

فأولهم وهو الشيخ الموزعى كان على جانب كبير من المعرفة لأسرار نحلة ابن عربى وقد قام بنفسه بدراسة كتبه والرد عليها فى مؤلف له

ويقول ابن الاهدل أنه أول الفقهاء الذين باشروا قراءة كتب ابن عربى والرد عليها من نصوصها المستقاه منها . وقد مكنته معرفته من مناظرة أصحاب هذه النحلة فقد ذكر ابن الاهدل أنه ناظر الشيخ محمد بن محمود الكرمانى — احد اتباع ابن عربى فى اليمن — إلا ان المناظرة لم تكن (بحضرة من يميز الحق ويقضى به بل بحضره من هو بصدد المحاباة والمداهنة فى دين الله وعدم التحقيق لاصول الدين وأقول الواقفين)[2] وهكذا فان الموزعى لم يتم له التغلب على خصمه لوجود فئة كانت تناصر الكرمانى واغلب الظن ان هذه المناظرة حدثت فى عهد تولى ابن الرداد القضاء على ان ابن الرداد نفسه كانت له جولة مع الموزعى فى المناظرات وقد استدعاه من قريته إلى مدينة زبيد (فلما وصل اجتمع مع جماعة من الفقهاء والصوفية فى مجلس حافل وطالب ابن الرداد مناظرته فابان الموزعى حجته ببطلان كلام ابن عربى فى كتبه)[3] ويبدوا ان الغلبة هذه المرة كانت للموزعى حتى ان الصوفية (همت بالفتك به فقام لنصرته الأمير محمد بن زياد

---

(١) هو موسى بن محمد الضجاعى كان من كبار فقهاء عصره تولى التدريس بجامعة زبيد وانتهت إليه رئاسة الفقه والحديث له من المؤلفات (غاية الأمل فى فضل العلم والعمل) وكتاب (الأقوال الواضحة الصريحة) ١٢٢ السابق ذكره .

(٢) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢١ .

(٣) البريهى : تاريخ البريهى (مخطوط)

فخاصه منهم)[1] وهكذا لجأ الصوفية إلى القوة فى حين كان عليهم مقارعة الحجة بالحجة ، وما تعرض له الموزعى من قبل الصوفية ليس إلا بداية المحنة والتنكيل بالفقهاء فى عهد ابن الرداد الذى سنعرض له فيما بعد .

أما الشخصية الثانية فهى شخصية ابن المقرى وهو العلم الاكبر فى قضية النزاع التى كاد ان يغطى احداثها بمفرده دون الاعتماد على غيره وسنجد اسمه يبرز واضحا خلال المرحلتين الثانية والثالثة من النزاع فى حين لا نكاد نجد له ذكرا فى احداث المرحلة الاولى وهذا الامر سيدفعنا إلى التساؤل عن سر تباطى ابن المقرى فى مناصرة الفقهاء وقد كان فى ذلك الوقت فى سن تأهله للمشاركة فى القضية حيث كان قد تجاوز الخامسة والعشرين هنا نجد حقيقة الخبر عند بعض المؤرخين الذين اهتموا بالكتابة عنه فقد اشار إلى هذا التباطى صراحة مناصرة المؤرخ ابن الاهدل بقوله (بعد موت الناشرى قام بالانكار القاضى شرف الدين إسماعيل ابن ابى بكر المقرى ولم يكن قبل ذلك يعرض لشىء من ذلك)[2] أى أن ابن المقرى لم يكن من المنكرين على الصوفية فى حياة الناشرى وقد كشف لنا عن هذا الجانب المجهول من حياة ابن المقرى معاصرة المزجاجى الذى وقف بنفسه على مخطوط من كتاب (الوصايا)[3] لابن عربى مع نقولات مختلفة من كتاب (كنه مالا بد منه للمريد) لابن عربى أيضا بقلم ابن المقرى مما يوحى بان ابن المقرى كان يستحسن شيئاً من تعاليم ابن عربى بل أنه قد اثناه عليه بكلام حسن فى أول المجموع لنستمع للمزجاجى وهو يخاطب ابن المقرى مذكراً له بهذه

---

(١) المصدر السابق (مخطوط) .

(٢) الاهدل : المصدر السابق ص ٢١٧ .

(٣) كتاب الوصايا يوجد غالبا بآخر كتاب الفتوحات المكية لابن عربى انظر مثلا طبعة سنة ١٣٢٩ ج ٤ ص ٤٤٤ .

القضية يقول (وقد وقفت لك يا أخى على جمع (مجموع) كتبته بخطك مختصرا فيه كتاب (الوصايا) للشيخ محى بن عربى ذكرت فى أول شيئا من كتاب (كنه مالا بد منه) للشيخ محى الدين بن عربى لوقوعه عندك موقعا حسنا فلذالك أثنيت عليه فى أول الترجمة فقلت (الشيخ الإمام العارف بالله محى الدين بن محمد بن عربى نفع الله به) هكذا هو عندى بخطك فى الجمع المذكور)[1] ومن هذه الحجة التى اشهرها المزجاجى فى وجه ابن المقرى يتضح لنا جليا أن ابن المقرى قد تأخر عن نصرة الفقهاء فى مرحلتهم الأولى حتى كان هذا التأخر سببا فى منافرة جماعة له من آل الناشرى الذين أنكروا عليه عدم مناصرته لقريبهم الشيخ أحمد الناشرى وسنجد ابن المقرى أمام هذا الإتهام قد برر موقفه بعذر مقبول وهو انه لم يكن له علم فلسفة بن عربى الصوفية وعلى الأخص تلك التى بثها فى كتابه (الفصوص) وذلك اثناء مصارعه الناشرى للصوفية يقول :

قالوا تعجب آل الناشرى على تخلفى عن أخيهم غاية العجب
وقيل لم أناصره غداة لقى فى القول بالحق مالاقى من النصب
والعــذر إنى لم اعثر بمدته على الفصوص وهذا الكفر والكذب[2]

والمهم فاننا نريد أن نخرج من هذا كله إلى بداية نحددها شأن ابن المقرى فى الإنكار على الصوفية وأغلب الظن انها كانت بعد تولى ابن الرداد القضاء العام فقد آثار فيه استثناره ابن الرداد بمنصب القضا روح الانكار على الصوفية ومن سار سيرهم حتى كان هذا عاملا على التفتيش على مساوئهم والبحث عن فضائحهم الخلقية والدينية إذ ليس من السهل على ابن المقرى أن يترك خصمه يتنعم بهذا المنصب الكبير وهو الذى طالما سعى فى الحصول عليه .

(١) المزجاجى : المصدر السابق

(٢) ابن المقرى : مجموع شعره ص ٩.

ومن هنا أتى سخط ابن المقرى على الصوفية فى شخص ابن الرداد ثم أصبح بعد ذلك عقيدة راسخة عنده يدعوا إليها عن محض الإيمان والنية الخالصة وقد اكتشف هذه الناحية أحد انصار ابن الرداد فذهب إلى أن إنكار ابن المقرى على الصوفية لم يكن إلا بقصد الاساءة لشخص ابن الرداد يقول المزجاجى مخاطبا المقرى[1] (وكأنك ما قصدت بالاطناب فى الطعن فى ابن عربى إلا توصلا لإيلام الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى بكر الرداد والقدح فيه والطعن فى الطائفة الصوفية وذلك لما نافسك من لايقصد منافستك ولا منافسة غيرك) ولعل المنافسة التى يعنيها المزجاجى كانت حول مسألة تولى القضاء العام ولا أظن أن الشيخ ابن الرداد قد تولى القضا بقصد الإغاضه لابن المقرى ومنافسته وإنما كان ذلك منه خشية من أن يتولى هذا المنصب الهام رجل ليس له إنتما يذكر بالصوفية ويبدو أن الفترة الطويلة التى أعقبت وفاة الفيروز اباذى وجعل القضا العام شاغرا كانت قد أبانت ابن المقرى كشخص معارض للصوفية وإلا لما كان ابن الرداد قد سعى فى القضاء بقصد إزاحة ابن المقرى عنه .

وعلى كل فإن بداية معارضة ابن المقرى للصوفية مسألة تحتاج إلى نصوص صريحة تبين زمنها التاريخى وبالرغم من أن جامع ديوانه قد أشار إلى أول قصيدة قالها فى الرد على الصوفية[2] إلا أنه أغفل تاريخها وبذلك يكون قد أضاع علينا آخر دليل معاصر يمكن أن نتشبث به حول بداية ابن المقرى مع الصوفية ولم يبق أمامنا سوى أن نجعل من معارضة ابن المقرى لابن الرداد بداية لإنكاره على الصوفية عموما وقد بدأت أولا على شكل مقطعات شعرية كان يقولها فى ذم

---

(١) المزجاجى : المصدر السابق (مخطوط) .

(٢) ابن المقرى مجموع شعره ص ٤ وهذه القصيدة مطلعها :

برئت سنة خير العجم والعرب — أصبحت مساجدها للهو واللعب

الصوفية ثم طورت إلى أن أصبحت مشاركة فعلية مع رجال النزاع الذين ناهضوا الصوفية وقد كان ابن المقرى قد شن حربا على الصوفية اثناء تولى ابن الرداد القضاء العام كما رأينا ذلك فى أكثر من حادثة تاريخية أشار إليها المؤرخون ويقول ابن الاهدل أن ابن المقرى قبل أن يتصدى للرد على الصوفية استأذن فى ذلك السلطان الناصر فوعده السلطان بالقيام فى نصرة الحق ان اجمع القضاة على انكار أفكار الصوفية الشاطحة ووعده باتلاف تلك الكتب)[1] وقد كان هذا الموقف من قبل السلطان الناصر بداية حسنة بالنسبة لابن المقرى وشجعه على مواصلة السهر فى مناهضة الصوفية لجمع كراسة كبيرة فيها كل الأقوال التى خرج بها الصوفية عن قاعدة الشريعة ثم عرضها على الفقهاء (فافتى بتكفيرهم أكثر فقهاء الوقت بناء على ما جمعه ابن المقرى)[2] ويعلق ابن الاهدل على موقف بعض الفقهاء خلال سعى ابن المقرى فى جمع الفتاوى بشأن الصوفية أن (بعضهم أطلق التكفير وبعضهم علق بصحة ذلك وبعضهم أحجم عن الجواب مراعاة لابن الرداد إذ كان ذلك فى حياته)[3] وهكذا فان ابن المقرى استطاع أن يجمع نصوصا كثيرة من فتاوى العلماء بلغت ثلاثين فتوى من ثلاثين عالما كما يتبين لنا ذلك من شعر ابن المقرى :

فهذا كتاب الله بينى وبينكم يعزى محيا المكابر
وهذى خطوط الاتقياء ذوى الهدى وأهل العلوم النيرات الزواهر
ثلاثين حبرا كلهم عند ربهم مكين أمين غير خب مغامر[4]

---

(١) ابن الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٧

(٢) ابن الاهدل : المصدر السابق ص٢١٦ وتحفة الزمن (مخطوط) .

(٣) ابن الاهدل : تحفة الزمن مخطوط .

(٤) ابن المقرى مجموع شعره ص ١٨

وكان هذا التحرك النشيط من قبل ابن المقرى دافعا قويا لقيام ابن الرداد بمجابهته والرد عليه فى مؤلف مستقل لعله كتابه المسمى (الشهاب الناقب فى الرد على بعض أولى المناصب) وكان ذلك منه بقصد أحباط مسعاه عند الملك الناصر وقد احتفظ لنا ابن المقرى بشيء مما كان يرد عليه خصمه فى كتابة المذكور من ذلك قول ابن الرداد ان ابن المقرى فى نقده للصوفية ليس إلا مغتابا فيجيبه صاحبنا :

هل الأمر بالمعروف عندك غيبة وهل سب عرضا من نهى عن منا كر(1)

وينفى ابن المقرى عن نفسه الدعوى بتكفير ابن الرداد التى يتهمه بها فيقول :

ففى أى بيت قلت إنك كافر وما كان هذا القول منى بصادر(2)

وفى نهاية الأمر يسخر ابن المقرى من تأليف خصمه فى الرد عليه ويقول له (هلا استشرت أحدا من الناس عند تأليفه) .

فهلا استشرت الناس عند كتابه فما كنت تخلو من نصيح مشاور
ولو اعطى المعطى كتابك رشده طواه على غراته والمكاسر
واخفاه لكن ما لمغطى بعورة إذا كشف البارى غطاه بساتر(3)

وسنجد ابن المقرى يذكر خصمه بكثير من المواقف التى وقف فيها معارضا له بقصد المعارضة لا غير كخذلانه عند السلطان بشأن مساعدة مسلمى الحبشه وملكهم المحاصر من قبل اعدائه الكفار :

اتذكر إذ شمرت ذيلك ناهضا لخذلان سعد الدين يوم التناصر
وقد جاء علم أن كفار قطره غشوه وقد اضحى ببعض الجزائر

---

(1) المصدر السابق ص ١٦ .

(2) المصدر السابق ص ١٦

(3) المصدر السابق ص ١٦

فناديت يا للمسلمين رجالكم فسفهت رأيى بل نقضت مرائرى
ونازعتنى عند المليك معارضا لما جاء فى دفع العدو من أوامرى
وافتيت أن ليس الجهاد بواجب علينا وقد مالاك بعض الحواضر
فاسقطت اثما عن رجال غررتهم وبؤت به مثل الرواسى الشماخرى
فلو قدرت عن بابه لك غيبه لفرج بالغارات كرب المحاضر
وطبق ظهر البحر جيشا إليهم تطير باقلاع الجوارى المواخر
حضرت لاجال حضرن ولو بقى لهم أجل ما كنت فيها بحاضرى
وظلت سيوف الكافرين تنوشهم وتطعمهم غرثا الطيور الطوائر
واكبادنا تصلى بنار من الأسى وأنت بنا تهزا قرين النواظر
تعجبهم من إننى قلت خطبة أحاول نصر الدين من غير ناصر
ومابى يستهز بى ولكن بربنا فما ترعه صنعى ولا من أوامرى[1]

إلى آخر هذه الابيات التى تشرح قضية تاريخية أغفلها المؤرخون من أهل اليمن[2] وتتلخص فى أن ملك الحبشة المسلم سعد الدين[3] حوصر من قبل الكفار فطلب من الملك الناصر مساعدته بالسلاح والجنود وقد ايده فى طلبه هذا ابن

---

(١) المصدر السابق ص ١٧ .

(٢) كل ما ظفرت به حول هذه الحادثة التاريخية هو قول المؤرخ يحيى بن الحسين فى حوادث سنة ٨٢٥ هـ أى بعد طلب ملك الحبشة المساعدة بنحو اربع سنوات ـ (فيها قدم ولد سعد الدين المجاهد من الحبشة الى بندر البقعة منهزمين من المشركين ثم دخل مدينة زبيد فنهض إليهما السلطان من تعز واكرمهما وجهزهما بمائتى فرس وما يتبعها .

(٣) هو جمال الدين محمد بن سعد الدين قتل سنة ٨٣٥ (أنظر ترجمة فى انباء الغمر ج٣ ص٤٨٧)

المقرى وحرض الناس بالخطب بقصد التطوع والجهاد إلا ان ابن الرداد وقف له معارضا محتجا فى ذلك بأن الجهاد غير واجب على المسلمين فى تلك الاعصار إلى أن كانت الدائرة على المسلمين وهزم الملك سعد الدين نتيجة لموقف ابن الرداد المعارض ومن هنا رأينا ابن المقرى يتحسر على عدم نصرته ويحمل خصمه مسؤلية تثبيط الهمم من القيام بواجب الجهاد .

وكانت هذه الحادثة فى حقيقتها صورة من صور المنافسة بين الرجلين وقد ربط ابن المقرى بين هذا الموقف لابن الرداد وتنكيله بجمهور الفقها من المنكرين على الصوفية فيقول :

ولا مالقى فى الله منك رجاله ... من الهول فى إنكاره والمحاقر
كمثل ابن نور الدين حياة ربه ... ومثل الحرازى والرجال الأواخر
وكالناشرى الحبر أحمد ذى التقا ... ملكت بما اذيته كل ناشرى

وهكذا يمضى نقد ابن المقرى اخيا عنيفا فلا يكاد يسمعه خصومه حتى يتحاشونه بالعديد من الرودود المصنفه وقد ذكر البريهى أن نقد ابن المقرى على الصوفية اشتهر شهره واسمه حتى (بلغت شهرته إلى مصر والشام) .

« محنة الفقهاء »

وسواء وفق ابن المقرى فى رده على الصوفية أم لم يوفق فإن ابن الرداد استطاع ان يثنى عزم السلطان الناصر عن القيام معه فى وجه الصوفية بعد أن جمع له ابن المقرى الفتاوى المطلوبة فتنصل من كل ذلك ولم يفى بوعده . وهذا يجرنا إلى البحث حول سياسة الناصر التى تعتمد فى كثير من الاحيان على أسلوب المراوغة وعدم تغليب أحد الفريقين المتنازعين على الآخر وهى نفس السياسة التى تبعها والده الملك الاشرف وان كان الأخير له بعض الميل الملحوظ إلى

ناحية الصوفية بل قد رأيناه فى آخر عمره ينحاز كليا إلى جانب الصوفية كما سنرى ذلك فيما بعد .

وهكذا فإن العمل الذى قام به ابن المقرى ومن تبعه من الفقهاء فى التحريض على الصوفية ليس له أثر ايجابى يذكر وكل ما احرزوه هو آثاره الشيخ ابن الرداد عليهم الذى سعى فى التنكيل بهم مدعوما فى ذلك بمركزه الهام وصلته الوثيقة بالملك الناصر فقد ذكر ابن الاهدل أنه لما نجح الفقهاء فى تحريض العامة على الصوفية وشاع (تكفير من يتدين بمذهب ابن عربى فى مدينة زبيد)[1] اتصل ابن الرداد بالملك الناصر وكان فى ذلك الوقت يصطاف فى مدينة[2] تعز وشكى إليه فعل الفقهاء فخشى السلطان ان تحدث (فتنة بين الفقهاء والصوفية بمدينة زبيد ويحصل فى المملكة حدث[3]) فاصدر أوامره بتسكين الفريقين إلى أن يعود من مدينة تعز وفى تلك الاثناء اغتنم ابن الرداد فرصة الهدوء النسبى وقام بحملة شاملة لتأديب الفقهاء فنهم (من ضرب ومنهم من اخيف ومنهم من هرب وخرب داره ومنهم من رجع عن تفكير ابن عربى واتباعه)[4] .

وكان من ضحايا الحادثة الفقيه ابن نور الدين الموزعى الذى مرت بنا مناظرته لابن الرداد فقد سعى هذا فى نزع أسبابه المعيشية وحاول القضاء عليه بكتابة محضر (كتبه عليه قاضى موزع يومئذ وكان من أصحاب ابن الرداد

---

(١) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢١ .

(٢) كان الاصطياف بمدينة تعز من العادات المتبعة عند الرسوليين وقد اشار اليها العمرى فى موسوعته مسالك الأبصار يقول « ان صاحب يمن يصيف بتعز ويشتى بزبيد » انظر مسالك الأبصار « قسم خاص بمملكة اليمن ص ٤٦ » .

(٣) الاهدل كشف الغطاء ٢٢١

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة .

فسلمه الله من شره)[١] ثم أمر بنفيه من بلده ومن بين المضطهدين الفقيه ابن الحرازى[٢] الذى نفى من اليمن بسبب فتوى قالها فى تحريم السماع كما نستدل من نظم ابن المقرى يقول :

افتى الحرازى بتحريم الغناء فنفى عن البلاد كما ينفى أخو الجرب[٣]

أما ابن المقرى فأغلب الظن ان ابن الرداد لم يستطع أن يمسه بسوء لأسباب تعود إلى شخصية ابن المقرى القوية ومكانته العالية فى الدولة إلا أن بقية الفقهاء قد أصابهم الاذى الشامل فمنهم من ضرب ومنهم من نفى ومنهم من سجن وقد أجمل لنا هذا الموقف المؤرخ ابن الاهدل قال عند حديثه عن ابن الرداد (ونصب الخلاف لفقهاء وقته لانكارهم عليه بالشرع وجرت لهم أمور يطول شرحها من السعى إلى السلطان بالاذى والامتحان للفقهاء فوقعوا بسببه فى شدائد)[٤] .

أما ابن المقرى فيصور هذا الموقف بأسلوب شعرى مؤثر فيقول :

فى كل يوم فتى أما يحاط به منهم فيسحب سحب الجازر الجزرى
أو هارب منه قد قامت قيامته فطار فى الأفق لا يلقى له أثرا
تقسمتهم بقاع الأرض فانقذفوا وخلفوا فى القلوب الحزن مستعرا[٥]

ولم ينج الفقهاء مما أصابهم فى محنتهم سوى موت ابن الرداد فى سنة ٨٢١ (فكان موته فرجا عظيما للفقهاء)[٦] .

وبموت ابن الرداد تنتهى جولة ثانية من الصراع بين الفريقين

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة .
(٢) لم أقف على ترجمة هذا الرجل لعدم ورود أسمه كاملا .
(٣) ابن المقرى مجموع شعره ص٩ .
(٤) الاهدل تحفة الزمن .
(٥) ابن المقرى مجموع شعره . ص ١٥ .
(٦) الاهدل كشف الغطاء ص ٢٢١ .

« المرحلة الثالثة »

فقد الصوفية بموت ابن الرداد أكبر مناصر لهم أمام خصومهم من الفقهاء الا أنه لا يزال هناك من يدافع عنهم بكل قواه وعلى رأس هؤلاء الملك الناصر الذى احتضن اتباع الشيخ ابن الرداد بعد موته ووقف فى وجه كل من ينكر عليهم .

ولم يبق الا اثنان يرجى لواحد متاب والثانى حسام مجرب[1]

فالاول هو الشيخ المزجاجى الذى يتوقف ابن المقرى فى أمره ويرى أنه (صالح وسليم النية)[2] وإنما كان يحسن الظن بابن عربى ويرغب فى تعاليمه عن جهل بحقيقة أمره ومع ذلك فهذا الرجل هو الذى تصدى لابن المقرى فى مؤلف ضخم كتبه قبيل وفاة ابن الرداد باشهر قليلة وسنعرض له فيما بعد .

وأما الثانى فلا شك أنه يعنى به الكرمانى وقد كان ابن المقرى يقول بتكفيره منذ مدة وقد دعى إلى قتله فى أكثر من قصيدة موجهة إلى السلطان على اعتبار أنه (يعتقد مقالات ابن عربى ويعرفها باعيانها[3] وهؤلاء هما شخصى النزاع اللذان ترأسا المعركة من قبل الصوفيه وسنجدهما قد استعملا نفس السياسة التى سار عليها سلفهم من الصوفية أمثال الجبرتى وابن الرداد فى التقرب إلى السلطان والاستعانة به فى مجابهة خصومهم من الفقهاء فقد كان المزجاجى على الرغم من أنه صاحب ثروة ويسار إلا أنه لم يترك جانب السلطان فى الاستعانه به على خصومه وكذلك الكرمانى [4] .

---

(١) ابن المقرى مجموع شعره ص٤٦

(٢) الاهدل : تحفة الزمن (مخطوط)

(٣) الاهدل المصدر السابق

(٤) الاهدل المصدر السابق ويقول البريهى فى حديثه عن المزجاجى (وصحب الملك الاشرف وابنه الناصر وكانت له منزله عندهما)

وقبل الدخول فى تفاصيل احداث النزاع التى اسفر عنها تحرش الفريقين بعضهم البعض نحب أن نقف قليلا عند طبيعة العلاقات التى ربطت بين رئيسى النزاع فى هذه المرحلة من ناحيتى الصوفية والفقهاء واعنى بهما المزجاجى وابن المقرى وقد ابان عن هذه العلاقات كل من الرجلين فى الردود التى تخللت النزاع وأنت تجـــد ابن المقرى قد صرح بصداقته للمزجاجى فى أكثر من مقطع كقوله .

وما عجبى من أعجمى[1] وبغضه   ادين بفضل العجم لا العرب معرب

فذاك عدو والشهيد محمد   ولـكننى من صاحب لى اعجب[2]

ويذكر عن مفارقته له بعد نزاعه معه فى مسائل التصوف فيقول :

فعاديته فى الله من بعد مامضى   لنا زمن وهو الصديق الحبيب

وجانبته إذ لم يكن لى مخلص   من الله إلا هجرة والتجنب

وما كنت ارضى هجره وفراقه   ولـكن رضى الباري أهم وأوجب[3]

فابن المقرى يؤكد صداقته للمزجاجى فى كثير من نظمه حتى فى تلك المقطوعات التى نلمس فيها نقده اللاذع له .

أما المزجاجى فنجده يذكر ابن المقرى متبوعا بلفظ اخى وصديقى)

إذن فهناك صداقة بين الرجلين لاشك فيها إلا انها سرعان ما أستحالت إلى عداء سافر على أثر اختلافهما فى المبدأ وقد توج هذا العداء بمؤلف المزجاجى المسمى (هداية السالك إلى اسنى المسالك) فى الرد على صديقه ابن المقرى وهو

---

(١) يعنى به الـكرمانى .

(٢) ابن المقرى : ديوان شعره ص ٤٢

(٣) المصدر السابق ص ٤٧ .

مؤلف ضخم فرغ من تأليفه فى (أواخر شهر جمادى الاولى من سنة ٨٢١)(١) أى قبل وفاة شيخه ابن الرداد بنحو خمسة اشهر فقط(٢) .

وقد طالع ابن المقرى هذا الكتاب الذى خصص فى الرد عليه وحاول نقده فى العديد من قصائدة التى حفل بها ديوانه ومن خلال ماجاء فى رد ابن المقرى نستشف كثير من القضايا التى عالجها المزجاجى .

فقد اشار ابن المقرى — أولا — إلى هذا الكتاب وحاول تسفيه ما جاء فيه بقوله : —

وصنفت شيئا عنه قد كنت فى غنابه ... فى الاناشخصوفى الأرض اشخب

وفيه روايات نات سقيمه ... ولا حكم ان صحت عليها يرتب

خرافات ليل والخرافات للنساء ... ورؤيا منام والمنامات تقلب(٣)

ثم يعرض إلى تلك الروايات التى يكررها المزجاجى فى ثناء العلماء على ابن عربى ويحاول ابن المقرى ان يعتذر لهم بأنهم لم يعرفوا حقيقة هذا الرجل وقد غرهم باسم التصوف .

ذكرت رجالا قلت اثنوا بصالح ... على شيخكم والبعض شكوا واضربوا

فهيهات ما مثن ولا ساكت درى ... بما عنه معكم فى المجالس يخطب

ولكنه باسم التصوف غرهم ... فظنوا وللصوفى صلاح ومنصب(٤)

ويعرض لتكذيب المزجاجى له فى روايته التى قال فيها ان كتب ابن عربى حرقت فى مصر وذلك كأن يقول المزجاجى مخاطبا ابن المقرى (وأما قولك

---

(١) المزجاجى هداية السالك مخطوط .

(٢) توفى الشيخ ابن الرداد فى شهر ذى القعدة سنة ٨٢١ هـ

(٣) ابن ا' رى : ديوان شعره ص ٤٤ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٤ .

فى القصيدة الرائية ان كتب ابن عربى حرقت فى جميع الأرض فحاش لله ويأبى الله ذلك ماسمع بهذا فى بلد من بلاد الاسلام فكيف فى جميع الأرض العاقل مثلك لا يتكلم بكلام مجاز. لا أصل له فى كتاب من كتب العلماء المعتبرين ولا فى تاريخ من تواريخ المسلمين)[1] هنا نجد ابن المقرى يرد على المزجاجى مؤكدا قوله السابق فى رائيته فيقول .

بلى ثقة من مصر قال رأيته[2] يطاف به فى عنق كلب ويسحب[3]

ويفند قول المزجاجى فى نصيحته له (مالك يا أخى وللصوفية وعلومهم لهم علوم وأحوال ومكاشفات من عند الله فما أنا وأنت من خيل هذا الميدان اتركهم وعلومهم واشتغل بما يعنيك)[4] لنستمع لابن المقرى وهو يرد عليه فى هذه النقطة:

فان قلت لا أنتم ولا أنا عارف بمقالة بل مقصد الشيخ أغرب

نقل لك لم تكذب بما أنت واصف لنفسك لكن أنت فى الغير أكذب

فان هنا لو كنت تعقل من بهم تدر ضروع المشكلات وتحلب

إذا كنت لا تدرى فدع ما جهلته وقلد رسول الله تنج وتصحب

---

(١) المزجاجى هداية السالك مخطوط

(٢) يعنى به كتاب الفصوص لابن عربى .

(٣) ابن المقرى ديوان شعر ص ٤٤ وفى القصيدة السابقة التى رد عليه المزجاجى فيها يقول ابن : المقرى :

أما حرقت فى مصر والشام كتبه باجماع أهل العلم باد وحاضر

ويؤيده فى ذلك أن البلقينى قاضى مصر فى عهد ابن المقرى كان من خصوم أتباع ابن عربى فلا نستغرب أن يقوم بحرق كتب ابن عربى .

(٤) المزجاجى : هداية السالك مخطوط .

عرفنا كلام الله جل جلاله   فدع ما يقول الأعجمى المتعرب[1]

يقول مخاطبا المزجاجى : إذا كنت لا تدرى ما يعينه شيخك ابن عربى فأن من هذا كله أن تتجه إلى الكتاب والسنة فهو أولى من تقليد ذلك الشيخ الاعجمى ويعنى به الكرمانى) .

وهكذا يمضى ابن المقرى فى تنفيذ حجج خصمه الواحدة تلو الاخرى .

وقد أصبح ذلك الكتاب الذى وضعه المزجاجى فى الرد على ابن المقرى صورة من مخلفات المعركة بين الفريقين فشهر أمره وعلى وجه الخصوص أثناء النزاع المحتدم بينهم واختلفت الآراء حوله فالفقهاء يرون فيه أنه (احتوى على حكايات وخرافات)[2] ومنهم من يشكك فى نسبته إلى المزجاجى وقد زعم الاهدل أنه (استعان فى تأليفه ببعض المتفقهيه)[3] .

والآن — بعد أن عرضنا لنماذج — من الجدال المستعرين المزجاجى وابن المقرى — سنجد أن الصوفية لم يكتفوا فى خصومتهم مع الفقهاء بمجرد الردود الكتابية فقد سعوا بكل ثقلهم عند السلطان الناصر بقصد إذية ابن المقرى وقد سبق ذلك عدة وشايات على شكل قصائد أرسلت إلى السلطان تزعم أن ابن المقرى لم يكن يعنى بشكوا الزمان سوى التعريض بمكانة السلطان نفسة ونسمع أحدهم — وهو ابن روبك — يقول فى آخر قصيدة أرسلها إلى الملك الناصر معرضا بابن المقرى .

لا يشتكى ريب الزمان معرضا   بك إذ بدا من غيره تعريض

لا يجحد النعماء ولا هو يدعى   حق العلو رأنه مخفوض

---

(١) ابن المقرى مجموع شعره ص ٤٥ .

(٢) ابن الأهدل تحفة الزمن مخطوط .

(٣) المصدر السابق (مخطوط) .

ويظن أن له علو ما جمـــه   يشفى بها الأمراض وهو مريض[1]

محنة ابن المقرى

وبهذه الوشاية وغيرها هيأ خصوم ابن المقرى الجو المناسب للايقاع به عند الملك الناصر فما أسهل من التأثير على شخص مثل الناصر بما عرف به من تقلب فى قبول الأشياء ورفضها وقد وقع هذه المرة تحت تأثير جماعة من كبار الصوفية أمثال الكرمانى والمزجاجى اللذان كان لهما ضلع رئيسى فى محنة ابن المقرى وقد ذكر الأهدل أن الملك الناصر لما قرب إليه الكرمانى (قبل منه وشايته فى ابن المقرى)[2] وسرعان ما تحول من صديق مخلص إلى عدو مبين . فأخذ ابن المقرى حذره من تحرك الملك الناصر ضده حتى إذا أرسل جنده إلى منزله بقصد القبض عليه نجد ابن المقرى قد فر مختفياً إلى قرية بيت الفقية فى حمى المشائخ بنى عجيل فلم يستطع الناصر من أن يمسه بسوء ويقول ابن الأهدل فى وصف هذه الحادثة (أرسل الملك الناصر من هجم على منزله بالنخل وقبض العسكر جماعة من الطلبة وسلم ابن المقرى ومنزله وكتبه ولم يؤخذ له شيء)[3] وهكذا لم يراعى الملك الناصر فى صديقه القديم علمه ولا شيخوخته وكان قد ناهز الثمانين سنة[4] وقبل من ابن الكرمانى سعايته فيه ولعل ابن الكرمانى وإضرابه من الصوفية وجدوا فى القصيدة التى يقول فيها مخاطباً الملك الناصر .

كلا ودين الله أفضل ما تكلا   وأفضل ما أمنت فى نهجه السبلا

---

(١) أورد نص هذه القصيدة جامع ديوان ابن المقرى ص ٢٤٤ .

(٢) الأهدل : كشف الغطاء

(٣) الأهدل : تحفة الزمن (مخطوط) .

(٤) يقول فى آخر قصيدة أرسلها إلى الناصر قبل هروبه :

خذ نصح من دانا الثمانين سنة   وذلك عمر من يقاربه فلا

ديوان ابن المقرى ص ٥٦

فذنبك من دين الآله مقدم على كل شيء دق عندك أم جلا
ومـــا أنت إلا نائب الله فى الورى فلا ذقت يوما من نيابته عزلا

إلى أن يقول :

فوالله لا حابيت ى دينى أمرأ ولا صانعت نفسى بخالقها خلا[1]

.... وجدوا فيها متنفسا لإغاظة الملك الناصر عليه وقد أشار إلى هذا جامع ديوانه فذكر أن هذه القصيدة هى التى (حصلت عليها الفتنة فى نخل وادى زبيد)[2] .

ومهما يقال فى أسباب نقمة الناصر على ابن المقرى فان هناك عدة عوامل تجمعت لتشكل ذلك الغضب ومن أهمها السعاية السيئة ضده وسوابقه الكثيرة فى مناهضة الصوفية وقد ظل طيلة حكم الناصر معارضا للصوفية مما سبب له النقمة .

على أن ابن المقرى لم يقطع كل وشائجه بالسلطان فكان يراسله وهو فى منفاه بالقصائد العديدة ويستعطفه فيها ويحثه على العفو كقوله فى قصيدة إليه :

ولقد فقدت وأنت أعلم منكم إنسا ولطفاً ما به تعويض
ورضى وفقد رضاك ليس بهين عندى فيحسن منى التفويض
والله لولا ما تحدثنى المنى عنكم وما علمى به مخوض
ما عشت إلا ريثما يمضى القضا ويقى ينقص بنية تقويض[3]

وما زال ابن المقرى يراسل الملك الناصر بمثل هذا الشعر حتى عطف عليه وعفى عنه ويقال أنه خشى من التجائه الى الامام على بن صلاح الدين الامام فى ناحية الجبال (ونقل عن الناصر أنه قال أن يطلع ابن المقرى الى الجبال كفرونا

---

(١) المصدر السابق ص ٥٣

(٢) المصدر السابق ص ٥٣

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٥

واستحلوا أهل بلادنا جمله)(١) ومن ثم كان تقريبه لابن المقرى مدار له منه وخشية من التجائه إلى الامام الذى لاشك أنه سيعتبر لجوء ابن المقرى اليه كسبا سياسيا كبيرا وذلك لشهرة ابن المقرى فى ذلك الوقت وموافقته له فى الإنكار على الصوفية اذا فان الملك الناصر لم يترك هذه الفرصة لخصمه اذ سرعان ما استدعاه الى زبيد ولم يمضى على هروبه سواه (سنة واحدة) .(٢) .

وعندما عاد ابن المقرى إلى زبيد كان الملك الناصر يعيش آخر أيامه وقد بدا المرض يناوبه فلم يثير مسألة الصوفية وظلت الامور راكده إلى امد قصير وكل ماسمعة من ابن المقرى فى هذه الفترة بضعة أبيات يبكت فيها جماعة الفقهاء الذين وقفوا فى محنته موقفا سلبيا فلم تكن لهم ادنى مشاركة فعلية وقد اعادد إلى اذهاننا صموده وحيدا اثناء المعركة فى ابيات قالها :

وقت وحدى ادعوا بين اظهركم فلم يجبنى امره منكم ولم يشب(٣)

بل ان من الفقهاء من لم يكتفى بالسكوت فوقف مع الصوفية معارضا لابن المقرى وهم جماعة دبجوا عدة فتاويات تدمغ الفتاوى التى جمعها ابن المقرى وتذهب إلى تأييد الصوفية وقد اشار إليهم ابن المقرى بقولة — مخاطبا الملك —

ولا تصغ للفتوى التى نطقت بها رجال هوى حابوا رجال هوى شكلا(٢)

وكان من ابرز هؤلاء العلماء الذين انحازوا إلى الصوفية الفقيه على بن محمد بن فخر

---

(١) الأهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٢ وديوان ابن المقرى ص١٤٦

(٢) المصدر السابق ص ١٤٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٩

(٤) المصدر السابق ص١٥٥

الذى نجد له ترجمة عند البريهى والسخاوى(١) وقد ذيل على كراسة ابن الكرمانى بالموافقة على تعاليم الصوفية فكان هذا العمل مبعث سخط شديد عند ابن المقرى حتى أنه أرسل اليه قصيدة ينكر عليه موافقته تلك جاء فيها :

بعت الهدى واعتضت منه ضلاله نعم المبيع وبئس ذاك المشترى

أعلى شفير القبر قمت تبيعه ولو استعضت به الخلود لتحشرا(٢)

ومن الفقهاء من انحاز نهائيا إلى جانب الصوفية وكان حربا على جماعته أمثال يحيى بن روبك(٣) الذى وقف ضد ابن المقرى وظل يتحرش به عند السلطان بالعديد من القصائد رغبة منه فى موافقة الصوفية على معتقدهم والدفاع عن رجالهم أمثال الكرمانى وغيره . وقد كان ابن روبك من طائفة الفقهاء بدليل أنه كان ينكر فى أول أمره تعاليم الصوفية يقول المقرى(٤) :

ما كنت تروى يا ابن روبك قولهم إلا رواية منكر غضبان

---

(١) ترجم له بقوله على بن محمد بن عبد العلى بن فخر المكى الزبيدى ولد سنة ٧٥٨ هـ وتقدم الى ان صار مفتى زبيد وفقيهها والمرجوع اليه فى ذلك الوقت واكبر مفتيها سنا واخذ الناس عنه وهو أول من ولى من الشافعية أمامه مسجد الاشاعر بها سنة ٧٧٩ توفى سنة ٨٤٢ هـ وفى تاريخ البريهى ورد ذكر كتاب له بعنوان (الظاهرى) صنفه باسم السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل الرسولى فى الفقه . وترجم له أيضا ابن حجر فى (ابناء الغمر) والمقريزى فى (السلوك) (الضوء اللامع ج ٥ ص ٣١٢) .

(٢) ديوان ابن المقرى ص ٣٧ .

(٣) ترجم له السخاوى بقوله (أبو محمد يحيى بن روبك شيخ النحاة فى عصره باليمن تفقه بصنعاء ثم استوطن تعز ومدح الملوك وقامت له رياسه معهم . وكان على طريقه العرب فى ارتجال شعر مات سنة ٨٣٥ فى نخل وادى زبيد ودفن هناك (الضوء اللامع ١٠ ص ٢٢٥).

(٤) ديوان ابن المقرى

فعلام قمت على الآله مغضبا متظاهرا بكرامة الكرمانى

ما كنت أحسب أن دينك دينهم أبدا ولا صدقت غير الآنى

ويشير المقرى إلى أذية ابن روبك له بالتحريض عليه عند السلطان فيقول[1]

ثم ابن روبك قائم من دونه ويخادع بالشعر للسلطان

وقد استمرت العداوة بين الرجلين أمدا طويلا حتى آخر مراحل النزاع بين الفقهاء والصوفية فى عهد الملك الظاهر يقول ابن المقرى[2] .

قل لابن روبك لم لأعداء ربنا منك الوداد وللموالى الشنأة

حاربتنى إذ قلت ربك واحد ونصرته إذ قال هو عدة

على أن ابن المقرى ما كان سيهتم بالرد على ابن روبك لولا أنه وجد له نفوذ كبير عند رجال الدولة الرسولية وذلك باعتراف ابن المقرى نفسه الذى نسمعه يقول للملك الظاهر :

ورأى ابن روبك أنه فى وقته وجه وكلمته بكم مسموعة[3]

(موت الملك الناصر وتحسن حالة الفقهاء)

بعد موت الملك الناصر[4] يطالع الفقهاء عهد جديد من الأمن والحرية وقد انزاح عنهم أكبر عقبة فى سبيل إصلاحاتهم الدينية إلا أن الصوفية فقدوا بموت الملك الناصر أكبر صديق لهم ومدافعا عن قضيتهم وقد رأيناه فى آخر عمره ينحاز إليهم انحيازاً تاما ضد خصومهم من الفقهاء وقد كان هذا دافعا رئيسيا لنقمة الفقهاء

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق ٣٤١

(٣) المصدر السابق ص ٣٤١

(٤) توفى الملك الناصر احمد بن الاشرف اسماعيل فى حصن قوارير ودفن بمدينة تعز فى ١٦ جماد الاخرة .

عليه فقد وصفوه بأشنع الأوصاف ومنهم من أرجع سبب موته إلى نقمة إلهية نزلت عليه يقول ابن حجر العسقلانى — وهو فقيه عاش فى مصر إلا أنه كان يتابع قضية النزاع فى اليمن عن كثب — (وكان الملك الناصر فاجراً جائراً مات بسبب صاعقة نزلت على حصنه المسمى (قوارير) فارتاع من صوتها فتوعك ثم مات)[1] أما ابن الأهدل فيصفه بأنه أكثر من شرب الخمر وقرب إليه المبتدعة حتى (ضاقت منه صدور الناس)[2] وهكذا فإن موت الملك الناصر يعد من النعم الكبرى على الفقهاء .

وقد خلفه فى الحكم ابنه الملك المنصور ٨٢٩ — ٨٣٠ هـ الذى اخذ من سيرة والده مع الفقهاء والصوفية العبره اذ سرعان ماقرب اليه جمهور الفقهاء بأحسن اليمن وكان على رأس هؤلاء الفقيه ابن المقرى الذى عطف عليه وضمه إلى جلسائه [3] .

وكان ابن المقرى قد سعى بعد تولى الملك المنصور الحكم مباشرة فى العمل ضد الصوفية إلا أنه وقف أمام عقبة كادا حيث كان الصوفى الكبير محمد بن محمد المزجاجى بما له من مكانة قصوى فى المجتمع اليمنى قد أحبط كل مساعى ابن المقرى ضد الصوفية وهكذا كان على ابن المقرى أن يترك [illegible]ية برهة من الزمن حتى طالعته الأخبار ذات يوم بموت المزجاجى فى ٢٤ ذى القعدة سنة ٨٢٩ هـ ولم يمضى على حكم المنصور سوى سنتين فيكون موت هذا العلم أكبر قاصمه لظهور الصوفية إذ بموته فقدوا آخر شخصية تنافح عنهم وكان على الصوفية من أتباع ابن عربى أن يجابهوا الموقف بمفردهم وقد أصبحوا عرضه

---

(١) ابن حجر أنباء الغمر ج ٣ ص ٣٣١

(٢) غاية الأمانى ص ٥٦٦ .

(٣) الأهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٢

لحملات الفقهاء عليهم بعد أن وجد لفقهاء من رجال الحكم إذنا صاغية لتحرشاتهم بهم وسيتضح لنا ذلك جليا فى المجابهـــة العلنية بين ابن المقرى والكرمانى من الصوفية .

وقبل الدخول فى تفاصيل النزاع بين الرجلين يجب أن نعطى القارىء لمحه عن حياة الكرمانى الذى يعتبر آخر أتباع ابن عربى فى اليمن خلال تلك المرحلة وهو أحد القادمين إلى اليمن الذين أتوا منذ مدة مبكرة ولم يفصح أحد وأغلب الظن أنه جاء قادماً من مدينة كرمان(1) الواقعة فى إيران كما يظهر من نسبته إليها من مترجميه عن الوجهة التى أتى منها وهو من العجم (الفرس) كما يشير إلى ذلك شعر ابن المقرى وقد حمل معه من تلك الجهات(2) نزعة التصوف الفلسفى الذى كان سائد فى إيران ونواحيها ومن مترجميه من ذهب إلى أنه كان يعرف فلسفة ابن سيناء(3) وعندما نشر هـذه الفلسفة فى زبيد اصطدم مع شيوخها الذين لم يكن لهم بها عهد(4) فنشاء معهم نزاع إلا أنه استطاع بدءوى

---

(1) كرمان مدينة فى إيران قاعدة الإقليم الثامن حالياً مساحتها ١٢ ألف كيلو متر وهى مركز تجارى هام شهيرة بصناعة الانسجة القطنية والصوفية والسجاد (المنجد فى الاعلام ص ٤٣٣) .

(2) نبغ من تلك الجهات من الفلاسفة جماعة من أشهرهم حميد الدين الكرمانى الفيلسوف الاسماعيلى .

(3) السخاوى الضوء اللامع ج . . .

(4) وقد وقعت مثل هذه الحادثة قبل هذا التاريخ بنحو قرنين عندما جاء إلى اليمن الزكى ابن الحسن البيلقانى ومعه شىء من علوم الفلسفة كالمنطق وغيره يقول بامخرمة فى وصف حادثته تلك مع الفقهاء (كان أول وصوله إلى عدن لم يتعرض لذكر الأصول (الفلسفية) والمنطق وإنما تظاهر باقراء كتب الفقه فقراء عليه القاضى يومئذ وهو محمد بن أسعد العنسى (وجيز)=

التصوف أن يجذب إلى ناحيته شيوخ الصوفية الذين كان لهم نفوذ كبير وقد قربه إليه الشيخ إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي ومن بعده خليفته أحمد الرداد والمزجاجي فكانوا سنداً له ضد هجمات الفقهاء عليه . وكم نود أن : نظفر بمرجع يشرح فلسفته الإلهية أولا أننا لم نوفق في العثور على شيء من ذلك وكل ما عثرنا عليه في هذا الصدد نتف متفرقة جاءت على لسان خصومه من الفقهاء وهؤلاء يجب أن لا نعتمد بأقوالهم في معرفة فلسفة الكرماني لتحاملهم الشديد عليه حتى أنه يكاد تختفي كثير من الحقائق عن هذا الرجل .

وعلى كل فليس أمامنا سوى الرجوع إلى مصدر الفقهاء لعدم وجود ما يقوم مقامها وسنجد من أبرز هؤلاء الفقهاء الذين تعرضوا لفلسفة الكرماني العلامة ابن المقري الذي أطنب في الرد عليه ودعا إلى تكفيره بل إلى قتله كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد وقد أشار إلى متفرقات من فلسفته أثناء رده عليه من ذلك عرض ابن المقري لرأي الكرماني في النبوة وأن موسى كان عجولا بخلاف فرعون الذي يغلب عليه الحلم والأناة يقول[1] .

=الغزالي ثم لما وجد عند السلطان إقبال عليه أظهر فلسفته وإقراء المنطق فأنكر عليه القاضي المذكر ولأن الغالب على فقهاء اليمن عدم الاشتغال بالمنطق خاصة ثم أن القاضي العنسي هجر البيلقاني ونابذه واستطار الشقاق بينهما ولم تطلب نفس القاضي بتدريس ابن البيلقاني في المدرسة المنصورية فسعى إلى إخراجه منها وقال للسلطان المنصور هذا رجل جاء بشيء لا يحتمله أهل اليمن ولا يعرفونه ولذا سمعوه أنكروه ونسبوا صاحبه إلى الخروج عن الدين) (أنظر تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ٨٠) .

(١) ديوان ابن المقري ص ٣٩ .

وحقرتم من عظم الله قدره　　وعظمتم ما حقر الله من قدر
كقولكم موسى عجول وصفكم　　لفرعون بالرأى المرجح والحجر

كما انه عاب على إبراهيم تصديقه الرؤيا بذبح إسماعيل وأنكروا عليه أتباع رؤيا بل أنه خرج من هذا القول إلى نفى صدق رؤيا الأنبياء جميعهم بما فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

ورؤيا الخليل الذبيح قلتم بيغيكم　　لرؤياه تأويل ولكن لم تدرى
وقلتم منام فى منام لكل ما　　أتى من رسول الله والنهى والامر[1]

أما رأى الكرمانى فى الألوهية فهو يذهب فيه إلى أن الألوهية والعبودية كلتاهما محتاجة إلى بعضهما البعض وأن الله سبحانه لا يستغنى عن عباده وهو محتاج إليهم بالطبع[2] .

وقلتم بأن الله جل جلاله　　على حال محتاج إلى الخلق مضطر[3]

وإذا كان ذلك معتقد الكرمانى فلا فرق عنده بين عبادة الله وعبادة الصنم

وشبهته بالخلق جهلا وقلتم　　عبادته مثل العبادة للصخر[4]

وفى النهاية ينعى ابن المقرى على خصمه بثه فى الناس فلسفته الإلحادية ونشرى عقائدهم :

فتنت وأوجمت الورى فى إلههم　　بما لا يطيق المرء فيه على الصبر[5]

ثم يقول له إنى لم أعاديك لشخصك وإنما لما جئت به من عقائد فاسدة فى مسألة البارى والأنبياء .

فوالله ما عوديت بغيا ولا هوا　　ولا فى سوى البارى ومرسله الطهر[6]

---

(١) المصدر السابق والصفحة
(٢) المصدر السابق (نفس الصفحة) .
(٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) . ديوان ابن المقرى.

(مصادرة الركماني)

وإذا كنا قد عرضنا لفلسفة الكرماني - كما نقلها ابن المقرى - فما علينا الآن إلا أن نلقى نظرة على النزاع فى مرحلته الأخيرة وسنجده قد انحصر نطاقه فى شخصين هما الكرماني السابق الذكر — من جانب الصوفية — وابن المقرى — من جانب الفقهاء — ولم نعد نسمع غير صوت هذين الرجلين .

وقد كان ابن الكرماني قد فقد . بموت صديقه المزجاجى أكبر مدافع عنه وأصبح فى موقف لا يحسد عليه حيث لم يعد هناك من يحميه الحماية الكفاية ضد تحرشات خصومه من الفقهاء باستثناء بعض الشخصيات البسيطة ذات النفوذ المحدود ومن أبرزهم الأمير شمس الدين على بن الحسام بن لاشين[1] والفقيه يحي ابن روبك وهؤلاء سينعدم تأثيرهما عند مايقوم ابن المقرى بحملته الجديدة على الكرماني .

فقد نجح ابن المقرى هذه المرة فى التأثير على الملك المنصور بشأن الكرماني واستطاع أن يدفعه فى القيام بعمل معاد حيث نجد المنصور قد أرسل جماعة من جنده للهجوم على منزل الكرماني ومصادرة ممتلكاته وكان يزمع فى إعدامه لولا تدخل أحد الأمراء فى قضيته فاطلقه بشفاعة هذا الأمير على أن يغادرمدينة زبيد فذهب إلى مدينته بيت الفقيه مستجيرا بشيوخها بنى عجيل .

ولم تمضى سوى نرهة قصيرة على الحادثة حتى يتوجه الكرماني إلى تعز وهنا يكون له ابن المقرى بالمرصاد فيثير عليه الفقهاء تمهيدا للقيام بعمل آخر ضده وقد صاغ ابن المقرى صورة استفسار موجه إلى الفقهاء يذهب فيه إلى أن ابن الكرماني قد خرج عن الدين وأن حكمه هو حكم المرتد ثم طلب من الفقهاء الإجابة عليه فما كان منهم إلا أن كتبوا بالإيجاب وذهبوا فيما كتبه مذهب

---

(١) ديوان ابن المقرى ص ٣٨ .

ابن المقرى من خروج الكرمانى عن جادة الشريعة وكان من بين المجيبين ـ كما يقول ابن الاهدل ـ الفقيه الكاملى والفقيه قاسم الدمتى وصادف فى هذه الاثناء وجود العلامة الاسلامى الكبير محمد بن محمد الجزرى فى اليمن قادما (١) من مكة فكتب حول سؤال ابن المقرى فتوى تذهب مذهب الفقهاء(٢) ثم إنها عرضت على سائر علماء اليمن ومن بينهم ابن الاهدل الذى يقول راويا عن نفسه (ثم حملت الجوابات إلينا إلى قرية أبيات حسين فكتبت عليها بجواب أبلغ من الجواب الاول الذى كتبته فى أول الفتنة) (٣) ، (٤) وهكذا تجمعت حصيلة وافرة من الفتاويات كلها تجمع على كفر الكرمانى ومن ينتمى إلى مذهب ابن عربى ثم ثم ان هذه الفتاوى عرضت على الملك المنصور فاقر بما فيها وأمر باحضار الكرمانى لمحاكمته)(٥) .

وقد اشار إلى هذه المحاكمة ابن الاهدل الذى يقول فى وصف ماشاهده (فاستحضر ابن الكرمانى إلى مجلس الشرع الشريف فاظهر التوبة والرجوع إلى الدين الاسلام)(٦) .

ثم ان الفقهاء اشترطوا عليه بعد اعلان توبته ان (يهجر كتب ابن عربى(٧)) وان يكتب فى ذلك صكا يكون حجة عليه (وكتب بذلك مسطورا قرى على منبر

---

(١) قدم الجزرى إلى اليمن فى سنة ٨٢٨ هـ

(٢) انظر هذه الفتوى فى القسم الخاص بالملاحق .

(٣) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٢

(٤) انظر هذه الفتوى فى قسم الملاحق • وقد حذفناها بعد تضخم الكتاب وسنثبتها فى طبعة قادمة انشاء الله •

(٥) الاهدل : تحفة الزمن مخطوط

(٦) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٢ .

(٧) الاهدل : المصدر السابق ص ٢٢٢ •

الجامع بزبيد على لسان خطيبها موسى الضجاعى وقرى أيضا على منبر المهجم)[1]
ولم ينتهى الامر عند هذا الحد فقد أمر المنصور بنفيه إلى جيزان فظل مختفيا بها
طيلة حكمه حتى وفاته سنة ٨٣٠ ﻫ وبهذه المحاكمة العامة استعاد الفقهاء سيطرتهم
على الموقف من جديد ولم يعد هناك من يتابعهم بالنفى والتنكيل أما الصوفية فقد
انعكس الحال عليهم وأخذوا يتخفون بتعاليمهم خشية من الفقهاء كما يقول ابن
المقرى فى قصيدة يصور فيها حالة الصوفية فى تلك الفترة[2] .

اذا شرعوا فى الاعتقاد تخافتوا   تخافت سراق على الحرز لتنقب
من الذل حتى يحسبوا كل صيحة   عليهم فتلقى المرء فى الامن يرغب

فى عهد الناصر الثانى

الا ان هذه السيطرة لم تدم طويلا للفقهاء إذ سرعان ما توفى الملك المنصور
فخلفه فى الحكم شاب صغير لايتجاوز سنه الثانية عشرهو الملك الاشرف إسماعيل
ابن أحمد فكثر (الاختلاف والفساد فى عصره)[3] فلم يلبث فى الحكم سوى
اشهر قلائل ثم قبض عليه العسكر فى مدينة تعز وخلعوه فى نفس السنة التى تولى
الحكم فيها .

وعلى الرغم من قصر مدة هذا الملك فى الحكم فقد اغتنم الكرمانى فرصة
وجود (الفوضى) بالمدينة فدخل زبيد متسللا[4] وهناك قابل الملك المنصور

---

(١) المصدر السابق . ص ٢٢٢ . ويقول (وهذا المسطور محفوظ عند جماعة من الفقهاء فليقف عليه من اراد ذلك) .

(٢) ديوان ابن المقرى ص ٤٨ .

(٣) غاية الامانى ص ٥٦٧

(٤) يقول ابن الاهدل حول دخول الكرمانى زبيد فى هذه المره (أنه راسل بعض اصحابه زبيد فآنسه (انظر تحفة الزمن مخطوط) .

واستطاع ان يؤثر عليه لصغر سنه وكانت الايام التى قضاها المنصور فى الحكم هى الايام الذهبية بالنسبة للكرمانى حيث وجد الحرية التامه فى اعلان مذهبه الصوفى والتنديد بخصومهم من الفقهاء بل انه اشتغل فى هذه الفترة بتصنيف مؤلف فى الرد على ابن المقرى صرح فيه برجوعه إلى مذهبه الأول من القول بوحدة الوجود وعبادة الاصنام وغير ذلك[1] حتى ان ابن المقرى لم يسعه إلا ان يضع رسالة صغيرة فى الرد عليه وقف عليها ابن الاهدل وقال أنها تقع فى نحو عشر ورقات[2] ثم ان ابن المقرى تابع رده عليه فى عدة قصائد كقوله فى احداها مخاطبا الكرمانى ومذكرا له توبته تحت رهبة السيف :

الم تستتب والسيف ينتضى	وقد دارتا عيناك من شدة الذعر
وكان ندا يوم عظيم ومشهد	به العلماء قد اجمعوا وذوو الأمر
وافتوا جميعا ان قتلك واجب	وتركك تنوى الناس من اعظم الوزر
ونوديت من فوق المنابر كافرا	على اروس الاشهاد بالمنطق الجهر

واسلمت خوف السيف كرها فما الذى : امنت به حتى رجعت إلى الكفر[3]

ثم يلتفت إلى الملك الصغير ويحاول ان يحى فى نفسه النخوه الدينية بأن يقول الكرمانى هل تظن ان لا ناصر للدين وهذا إسماعيل ليس له شغل سوى الذب عنه .

ظننت بان الدين لا ناصر له	فجئت لكى تشفى به غلة الصدر
كذبت واسماعيل ملا ثيابه	فان كنت لا تدرى فلابد ان تدرى

---

(١) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٣ .

(٣) ديوان ابن المقرى ص ٣٨ .

ملوك البرايا والذى ليس همه سوى الذب عن دين المهيمن والنصر[1]

ويبدو ان الكرمانى استطاع ان يؤثر على الملك الاشرف بذكر صلته الحسنه مع والده الملك الناصر وكيف أنه ظل مؤيدا له ضد خصومه من الفقهاء هنا نجد ابن المقرى يعيد إلى ذهن الملك الطفل ان والده لم يمت الا بعد ان تبرأ من اتباع مذهب ابن عربى فيقول[2] :

ومامات حتى قد تبراه منكم وأفضاك عنه من جرالكلب عن جحر

ومات بحمد الله احسن ميتة يموت عليها من ينعم فى القبر

تبرأ مما قلتموه جميعه بحمد آله العالمين وبالشكر

على أنه يعترف ان الكرمانى خدع الملك الناصر برهة من الزمن وهو الآن يحاول خداع ابنه بتحبيذ مذهبه إليه[3] .

خدعت ابن إسماعيل أحمد مرة وجرعته شوما أمر من الصبر

وجئت لاسماعيل تبغى خداعه ايلسع سلطانان ويلك من جحر

ويمضى ابن المقرى يذكر الابن بشؤم الكرمانى على والده وأنه كان سببا فى هزائم كثيرة نزلت عليه[4] .

لقد كان سلطان البريه أحمد إذا صال لم يدفع ببحر ولا صجر

تخلى له أهل الحصن حصونهم اذا امهم فى موكبا لفتح والنصر

فسل عنه نعمانا[5] وسائل كوابنا[6] ودمتا وأطراف البلاد إلى الشحر

(١) ، (٢) ديوان ابن المقرى ص ٣٨ .

(٣) ، (٤) ديوان ابن المقرى ص ٣٨ — ٤٠ .

(٥) نعمان اسم لعدة أماكن فى اليمن انظر صفحة جزيره (ص ١٦ وكوابن اهل يعنى بها كيان .

(٦) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٣ .

إلى أن غشى شيطان كرمان بابه وعاض ارباب الشريعة بالمكر

وأول شؤم الخبيث بـــداله حديث الهوانى وهى احدوثة الدهر

ثم تتالى الهزائم الكثيرة كسقوط زبيد ويافع وعدن وحصن تعز الى غير ذلك وكله بسبب شؤم ابن الكرمانى كما يقول ابن المقرى :

وهكذا وبأسلوب الأطفال يحاول ابن المقرى جاهدا ان يبغض اليه ابن الكرمانى إلا انه اقتنع فى نهاية الأمر بعدم جدوى — مايقول له ابن المقرى فى قصائد زد على ذلك ان البلاد كانت تشهد زوابع سياسة طاحنة تكون سببا فى إزاحة الطفل عن الحكم دون ان تمر عليه سنة واحده .

تولى الملك الظاهر وانتصار الفقهاء

وقد ولى العسكر بعده عمه الملك الظاهر يحي بن اسماعيل الذى كان قابعا فى سجون الاشرف فما كان منه إلا أن قرب إليه ابن المقرى وأزاح الكرمانى كمنفيا إلى مدينة بيت الفقيه[1] وذلك منه مخالفة ظاهرة لسياسة الاشرف . على ان الكرمانى كان ممقوتا من قبل الفقهاء — كما يقول ابن الاهدل —[2] فجاء تصرف الملك الظاهر تجاهه كترجمة فعلية لبعض الفقهاء له وقد اثنا عليه فى هذا العمل ابن المقرى بقوله .

ماكنت الاغارة الله ومن تطالبه غارة الاله يدرك

اخرجته من مجلس العلم وقد دنسه بما به ياتفك[3]

ومكث ابن الكرمانى فى منفاه ببيت الفقيه نحو سنه كان خلال يدأب فى نشر مذهبه الصوفى بين الأهالى وقد بلغ اتباعه فيها إلى نحو خمسين شخصا كما نفهم

---

(١) الاهدل : المصدر السابق ص٢٢٣ .

(٢) الاهدل المصدر السابق ص ٢٢٣ :

(٣)ديوان ابن المقرى ص

من احصاه ابن المقرى لهم الذى يقول[1] :

يربى على الخمسين قوم غرهم قد غدوا امسوا وكل ميت

واقام فى بيت الفقيه فما بقى لخيارهم ببيت الفقيه بقية

ثم أنه أراد الدخول إلى مدينة زبيد لحضور مجلس افطار الملك الظاهر بجانب العلماء وكبار الدولة[2] فيأتى ابن المقرى ليقف معارضا لطلب الكرمانى ويقول للسلطان (كيف يحل ان يدخل هذا الكافر بين المسلمين)[3] ثم أنه يثير قضية قديمة طالما رددها ابن المقرى وهى مسألة عقيدة الكرمانى ونجده هنا يذكر السلطان بدعوته السابقة فى قتل الكرمانى ويقول له لو انكم ضربتم عنقه فى ذلك التاريخ لكفيتم شره .

او كنتم امس ضربتم عنقه ازال عن دين الاله وعك

مافربه عند الآله ادخرت مثل دم الكرمان حين يسفك[4]

الا ان ابن المقرى يعود فى مخاطبة الظاهر ويقول له بامكانك الان ان تستدرك هذا الأمر وتقدم على قتله[5]

والله ياخير الملوك انها عظيمة لكنها تستدرك

السيف فى الكف وعندى العلماء يفتون ان مثله لا يترك

وهكذا يثير ابن المقرى قضيته ابن الكرمانى من جديد فيدعوا إلى قتله وقد شاركه فى هذه الدعوه جميع من الفقهاء يقول ابن الاهدل : (وجرى

---

(١) المصدر السابق ص

(٢) الأهدل : تحفة الزمن (مخطوط) .

(٣) المصدر السابق (مخطوط)

(٤) ، (٥) ديوان ابن المقرى ص

فى قتله خوض فى مقام السلطان)(١) فاستدعى إلى مدينة : بيد وعقد الفقهـــاء مجلس خاص به خيروه فيه بين التوبه أو القتل بالسيف فاختار الأولى وقد انطقه الشهادتين صديقة القديم الفبة على بن محمد فخر(٢) أما ابن روبك فنـ ممه فى هذه الاونه يدعوا إلى مناظر الرجلين ابن المقرى والكرمانى — ليتبين أيهما على الحق فيجيبه ابن المقرى قائلا هل يستوى الايمان والكفر ومع هذا فستكون النتيجة فى غير صالح صاحبه لو أن الملك الظاهر استجاب لطلب ابن روبك يقول ابن المقرى :

قال ابن روبك ناظروا مابينهم ليبين عندك من عليه العمـــدة
اتراه ظن الكفر كفوا للهدى فأراد يعرف أى قول أتبع
لو أن ملك العالمين إجـــابة ندم ابن روبك واعترته الخجلة(٣)

ويبدوا أن الوشايات قد كثرت حول الكرمانى فى هذه الفترة ولم تعد محصورة فى المجال الدينى إذ تعدته إلى جانب السياسة واتهم بموالاته للثائر العباس بن إسماعيل الرسولى أحد أفراد بيعة الامارة المطالبين بالحكم(٤) فما كان من صاحبنا الكرمانى إلا أن فر بجلدة سالما إلى جازان وظل بها مختفيا حتى وفاته سنة ٨٤١ هـ .

ويقول جامع ديوان ابن المقرى أن ابن روبك شفع لابن الكرمانى عند

---

(١) ابن الاهدل : تحفة الزمن مخطوط
(٢) المصدر السابق .
(٣) ديوان ابن المقرى ص .
(٤) أشار إلى ثورته المؤرخ يحيى بن الحسين فى غاية الامانى ص ٥٧٢ وقال أنها حدثت سنة ٨٣٩ أى بعد وفاة ابن المقرى بسنتين ولكن يبدو ان هذه الثورة ليست هى الأولى فقد سبقها عدة محاولات بدليل ان ابن المقرى قد إدرك فرار الكرمانى كما سيتضح لنا فيما بعد .

السلطان وطلب منه أن يسمح له بمغادرة اليمن وقد كتب ابن المقرى حول هذا الطلب قصيدة ساخرا فيها منه سانثبتها هنا كاملة لصلتها بالموضوع الذى ندرسه :

الفسخ يطلب منكم الكرمانى ليحج أو ليسيح فى البلدان
قد كان صوفيا فليس بقاطن فى بلدة مع أهلها القطان
بل راية التطواف من أرض إلى أرض ومن وطن إلى أوطان
ولو أنه يهوى المقام بأرضكم لاقام فيها فى نعيم جنان
لكنه يخشى من الفقهاء ماء يغشاه كل طلا من الذوبان
فاذا رأى اليمن السعيد كجنة ألفى بها الفقهاء كالنيران
وجحيمه منهم أضر عليه من حر الجحيم ومن حميم آن
ومن أدعى منهم له حبا فما هو غير حب الهر للفيران
وأولوا التفقه ليس يبرح عندهم لأولى التصوف أعظم الشنآن
فئتان مختلفتان جدا هذه مثل الضباب وتلك كالنينان
يحمى وطيس الحرب بينهما ولا طعن ولا ضرب بغير لسان
كل يكفر خصمه ويراه من حزب الضلال وزمرة الشيطان
فترى الفقيه يود للصوفى أن يفنى وكل غير ربى فانى
ماحجر إسماعيل يقضى غير أن يغدوا الذبيح محمد الكرمانى
كم ود إسحاق له أو ذبحة بيدى عدو شانى
مازال يسعى جاهدا فى قتله لا وانيا عنه ولا متوان
ويسير الأشعار فيه محرضا فيها عليه لكل ذى سلطان
ويذب أقوالا تبيت سواريا منه إلى الأمراء والغلمان
ماهنا السلطان إلا بالهجاء لمجمد ذاك الضعيف العانى
كم قال فيه اهاجيا وأتى بها مدحا لكل خليفة وتهانى
كم عصب الفقهاء عليه مبالغا فى ذاك ذا جد وذا معان

في دولة المنصور كان إباده لولا وقته حماية الرحمن
قد كان شب عليه أعظم وقدة حميت على قاصى الورى والدانى
كانت لعمرى وقدة مشبوبة بهبوب ريح الظلم والعدوان
كادت تذيب بحرها أرواحنا من قبل أن تدنوا إلى الابدان
كم حرقت من صوف صوفى وهل للصوف من بقيا مع النيران
قد كان إسماعيل مسعرها ولم يجعل لها حطبا سوى الكرمانى
لكن وقاه الله عز جل جلاله من حرها المشبوب واللهبانى
والآن جدت عزيمته على سفر بذيب وكائب الركبان
هربا من القوم الاولى يسعون فى إهلاكه فى السر والاعلان
فامنن له بالفسح يامالك الورى فالفسخ فيه له أجل أمانى
وإذان له بالسير ينجو به من وقع كل مهند وسنان

مراجع الكتاب

نقتصر هنا على أهم المراجع التى رجعنا إليها فى تأليف هذا الكتاب ، وقد حذفنا لفظه « أبو وابن من هذا الترتيب »

(١) الاسنوى :

طبقات الشافعية طبع بغداد سنة ١٩٧٠ بتحقيق عبد الله الجبورى .

(٢) ابن الامير : محمد بن اسماعيل المتوفى سنة ١١٨٢ ه

ديوان ابن الامير طبع فى مصر سنة ١٩٦٤ م

(٣) أمين : أحمد

ضحى الاسلام طبع ـ مصر سنة

فجر الاسلام طبع فى مصر سنة

(٤) الاهدل : عبد الرحمن بن حسين الاهدل المتوفى فى سنة ٨٥٥

: تحفة الزمن بذكر سادات اليمن « مخطوط » .

: كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الائمة الاشعريين ومن خالفهم من المبتدعة وبيان حال ابن عربى واتباعه المارقين . طبع فى تونس سنة ١٩٦٤ بتحقيق الدكتور أحمد بكير .

(٥) الاهدل : عبد الرحمن بن سليمان . المتوفى سنة ١٢٥٠ ه

النفس اليمانى فى أجازة القضاة بنى الشوكانى « مخطوط »

(٦) بامخرمة : عبد الله « الطيب » بامخرمة المتوفى سنة ٩٤٧ هـ

تاريخ ثغر عدن . طبع ليدن سنة ١٩٣٦ .

(٧) باوزير : سعيد بن عوض « معاصر »

الفكر والثقافة فى التاريخ الحضرمى . طبع مصر سنة ١٩٦١ هـ

(٨) البريهى « من علماء التاسع الهجرى »

تاريخ علماء اليمن « مخطوط »

(٩) ابن بهران : محمد بن يحيى المتوفى سنة ٩٥٧

الكشف البيان عن حال متصوفة الزمان « مخطوط »

(١٠) البيحانى : محمد بن سالم المتوفى سنة ١٣٩٢ هـ

أشعة الأنوار على مرويات الأخبار . طبع مصر سنة ١٣٩٣

(١١) الجندى : بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف المتوفى سنة ٧٣٢

السلوك فى طبقات العلماء والملوك « مخطوط »

(١٢) ابن الجوزى : عبد الرحمن بن على المتوفى سنة ٥٩٧

: صفة الصفوة . طبع الهند ١٣٨٩

: تلبيس إبليس . طبع بيروت

(١٣) الجيلانى : عبد الكريم بن إبراهيم « من علماء القرن التاسع »

الانسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل . طبع القاهرة سنة ٣٨٣ .

(١٤) الرازى : أحمد بن عبد الله المتوفى بعد سنة ٤٦٠

تاريخ صنعاء . طبع دمشق ١٩٧٤ بتحقيق الاستاذ حسين العمرى .

(١٥) حاجى خليفة : كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون طبع تركيا سنة ١٩٤١ .

(١٥) الحامدى : صالح بن على المتوفى سنة ١٣٨٧

تاريخ حضر موت طبع جده سنة ١٩٦٧ م

(١٦) الحبشى : أحمد بن زين المتوفى فى سنة ١١٤٥

شرح العينية طبع دمشق سنة ١٣٩٣ هـ

(١٧) الحبشى : عبد روس بن عمر المتوفى سنة ١٣١٤

عقود اللآل باسانيد الرجال طبع مصر سنة ١٩٦١

(١٨) ابن حجر العسقلانى : أحمد بن سر المتوفى سنة ٨٥٦

أنباء الغمر بانبأ العمر طبع مصر سنة ١٩٧١

(١٩) الحضرمى : عبد الرحمن « معاصر »

جامعة الأشاعر طبع صنعاء سنة ١٩٧٤

(٢٠) الخزرجى : على بن الحسن المتوفى سنة ٨١٢ هـ

: العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية طبع مصر سنة ١٩١١ هـ طراز أعلام الزمن بذكر أعلام اليمـــن « مخطوط » .

(٢١) الذهبى : محمد بن أحمد المتوفى سنة ٧٤٨هـ

العبر فى خبر من غبر طبع الكويت ١٩٦٠م

(٢٢) ابن ابى الرجال : أحمد بن صالح المتوفى سنة ١٠٩٢

مطلع البدور ومجمع البحور « مخطوط »

(٢٣) زباره : محمد بن يحيى المتوفى سنة ١٣٨٠

: ائمة اليمن فى القرن الرابع عشر طبع مصر سنة ١٣٧٥

: نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف طبع مصر سنة ١٣٧٦

(٢٤) الزبيدى : محمد المرتضى المتوفى سنة ١٢٠٥

تاج العروس شرح القاموس طبع مصر سنة ١٣٠٧
النفحة القدوسية بواسطة البضعه العيدروسية « مخطوط »
(٢٥) زرزور . عدنان « معاصر »
الحاكم الجشمى طبع بيروت
(٢٦) الذركلى : خير الدين « معاصر »
الاعلام طبع مصر سنه ١٩٥ وما بعدها
(٢٧) زكى مبارك المتوفى سنة ١٩٥٢ م
التصوف الاسلامى طبع مصر سنة ١٩٣٨ م
(٢٨) لسبكى : عبد الوهاب بن على المتوفى سنة ٧٧١ هـ
طبقات الشافعية طبع مصر سنة ١٣٢٤ هـ
(٢٩) السخاوى: شمس الدين محمد بن أحمد المتوفى سنة ٩٠٢
الضوء اللامع لاعيان القرن التاسع طبع مصر سنة ١٣٥٢
(٣٠) السقاف : على بن أبى بكر المتوفى سنة ٨٩٥
البرقه المشيقة فى ذكر الخرقه الانيقة وشيوخ الطريقة طبع مصر سنة ١٣٤٧
(٣١) ابن سمره : عمر بن على المتوفى سنة ٥٨٦ هـ
طبقات فقهاء اليمن طبع مصر سنة ١٩٥٧ م بتحقيق الاستاذ فؤاد سيد
(٣٢) الشاطرى : محمد بن أحمد « معاصر »
ادوار التاريخ الحضرمى نشر جده سنة ١٩٦٢ ، ١٩٧٢
(٣٣) شرجى : أحمد بن احمد بن عبد اللطيف المتوفى فى سنة ٨٩٣
طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص . وقد نرمز له بالخواص طبع فى مصر سنة ١٢٢١ هـ

(٣٤) الشلى محمد بن ابى بكر المتوفى سنة ١٠٩٣
: المشرع الروى فى مناقب السادة بنى علوى طبع مصر سنة ١٣١٩
(٣٥) الشوكانى: محمد بن على المتوفى سنة ١٢٥٠
البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع طبع مصر سنة ١٣٤٧
(٣٦) صافى حسين «معاصر»
الادب الصوفى فى القرن السابع بمصر طبع مصر سنة ١٩٦٤
(٣٧) العامرى: يحى بن ابى بكر الحرضى المتوفى سنة ٨٩٣
غربال الزمان المفتتح بسيرة سيد ولد عدنان « مخطوط »
(٣٨) ابن عربى: محي الدين محمد بن على المتوفى سنة
الفتوحات المكية طبع مصر سنة ١٢٩٣
فصوص الحكم طبع فى مصر سنة ١٩٤٦
(٣٩) عز الدين بن الحسن الإمام المتوفى سنة ٩٠٠
كنز الرشاد وزاد المعاد طبع مصر سنة ١٣٤٦
(٤٠) عمارة بن على بن زيدان المتوفى سنة ٥٦٩
المفيد فى اخبار صنعاء وزبيد طبع مصر سنة ١٩٦٥
(٤١) العمرى · شهاب الدين المتوفى سنة ٧٤٩
مسالك الأبصار فى ممالك الامطار فصله مستقلة بتحقيق ايمن السيد
طبع القاهرى سنة ١٩٧٤
(٤٢) العقيلى : محمد بن أحمد «معاصر»
من تاريخ المخلاف السليمانى طبع القاهرة سنة ١٩٥٨
التصوف فى تهامه جدة سنة ١٩٦٤ م
(٤٣) على بن نور الدين المكى « القرن الثانى عشر »
نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس طبع القاهرة سنة ١٢٩٣
(٤٤) العيدروس : أبو بكر بن عبد الله المتوفى سنة ٩١٠

الجزء اللطيف فى التحكيم الشريف طبع القاهرة سنة ١٣٥٥
ديوان حجة السالك ومحجة الناسك طبع القاهرة سنة ١٣٥٥
(٤٥) اليعدروس : عبد القادر بن شيخ المتوفى سنة ١٠٣٨
النور السافر فى اخبار القرن العاشر طبع بغداد سنة ١٩٣٤
(٤٦) العيدروسى : عبد الرحمن بن محمد المتوفى سنة ١١١٢
ايناس الصفوه بأنفاس القهوه مخطوط .
(٤٧) القرباني : إسماعيل بن مهدى « معاصر »
نفس الرحمى فيما لاحباب الله من علو الشأن طبع عدن
سنة ١٣٨٠
(٤٨) الفاسى : محمد بن أحمد المتوفى سنة ٨٣٢
العقد اليمنى فى تاريخ البلد الأمين طبع القاهرة سنة ١٩٦٣
بتحقيق الاستاذ سيد
(٤٩) القارى : المرشد إبراهيم بن عبد الله « القرن التاسع »
الدر اليمنى فى مناقب الشيخ محي الدين طبع بيروت سنة ١٩٥٩
« بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد »
(٥٠) القشاشى: أحمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٧١
السمط المجيد طبع الهند سنة ١٩٠
(٥١) ماسنيون: حياة الحلاج بعد موته مجلة المورد العراقية العدد ٣ سنة ١٣٩٢
(٥٢) متن : آدم : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع طبع بيروت
سنة ١٣٨٧
(٥٣) المحبى : محمد آمين المتوفى سنة ١١١
خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر طبع مصر ١٢٨٤

(٥٤) المزجاجي: محمد بن محمد بن ابى القاسم المتوفى سنة ٨٢٩
هداية السالك إلى اهدى المسالك « مخطوط »

(٥٥) المعرى : أحمد بن عبد الله بن سليمان المتوفى سنة ٤٤٧
رسالة الغفران طبع بيروت

(٥٦) المعلمى : أحمد بن محمد المتوفى سنة ١٢٧٨
ترويح الأوقات فى المفاقرة بين القهوة والقات طبع القاهرة سنة ١٩٧٥

(٥٧) المقبلى : صالح بن مهدى المتوفى سنة ١١٠٨
العلم الشامخ فى أبناء الحق على الآبا والمشائخ طبع القاهرة سنة ١٣٢٨

(٥٨) ابن المقرى : إسماعيل بن أبى بكر المتوفى سنة ٨٣٧
مجموع القاضى أبى الذبيح إسماعيل بن ابى بكر المقرى طبع الهند سنة ١٣٠٥

(٥٩) ابن المهدى: يحى « من علماء القرن الثامن »
صلة الاخزن فى حلية بركة أهل الزمن « مخطوط »

(٦٠) أبو نعيم : أحمد بن عبد الله الأصفهانى المتوفى سنة ٤٣٠
حليه الأولياء وطبقات الأصفيا طبع القاهرة سنة ١٩٣٣

(٦١) النعمى : حسين بن مهدى المتوفى سنة ١١٨٧
معارج الالباب طبع القاهرة سنة ١٣٧٠

(٦٢) النهروالى: محمد بن أحمد المتوفى سنة ٩٨٨
البرق اليمانى فى الفتح العثمانى طبع بيروت بتحقيق الشيخ حمد الجاسر سنة ١٩٦٧

(٦٣) الهدار : العلامة عبد الله بن أحمد المتوفى سنة ١٣٩٦
الجواهر فى مناقب الشيخ ابى بكر تاج الاكابر طبع القاهرة سنة ١٣٩١

(٦٤) الواسعى : عبد الواسع المتوفى سنة ١٣٧٩

فرجة الهموم والحزن فى تاريخ اليمن طبع القاهرة سنة ١٩٤٧م

(٦٥) وطيوط : المعلم (من علماء القرن التاسع)

تاريخ المعلم وطيوط . « مخطوط »

(٦٦) اليافعى : عبد الله بن اسعد المتوفى سنة ٧٦٨

مرآة الجنـان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان

طبع الهند سنة ١٣٣٧

روض الرياحين فى حكايات الصالحين طبع القاهرة

(٦٧) يحيى بن الامام القاسم بن محمد المتوفى سنة ١١٠٠

: غاية الامانى فى اخبار القطر اليمانى طبع القاهرة سنة ١٩٦٧

بهجة الزمن ذيل انباء الزمن « مخطوط »

(٦٨) يحيى بن حمزه : الإمام المتوفى سنة ٧٤٧

تصفية القلوب عن الاوزار والذنوب « مخطوط »

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٦	١١	الوارثى	الوراثى
٢٧	٥	لليخة	المشيخة
٢٩	٩	هموعة	همومهم
٤٠	٥	نوع الشعوذة	نوع من الشعوذة
٥٠	٥	حاكم السنى	حاكما سنيا ً
٥٦	١٩	يحى	يحيى
٧١	١٠	ابن	أن
٧٤	١	وبما	وربما
٨٠	١٦	يلثو	يثوا
٩٤	١٧	اياس وغيرهم	وغيرهم
٩٦	١٠	العمواني	العمراني
٩٧	١٤	المتكلفين	المكلفين
٩٨	٣	الفقهاء	الصوفية
١١٩	٢١	لاحق	سابق
١٢٧	١٥	وقعت	لاوجود لها
١٤١	١١	يستهزني	يستهزى
١٤٣	١٣	تفكير	تكفهر
١٤٤	٢	المساع	السماع

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤٨	٢	مجازمة	مجازفة
١٤٨	٤	لا أصل له	له
١٤٩	٢	مايعينه	مايعنيه
١٤٩	٣	فان من هذا كله إلخ	فان هناك رجال تحل بهم المشكلات يستطيعون فهم مايقصده ابن عربى وخير لك من هذا كله
١٥٨	١٤	والشوى	وتشويه
١٥٩	١	الرمكانى	الكرمانى
١٦٢	١٦	الذبب	الذاب
١٦٣	١٦	الحصن	الحصون
١٦٤	١	وعاض	وعارض
١٦٥	١٥	وهندى	وهدى
١٦٦	٣	الفيه	الفقيه
١٦٦	٤	إلى مناظر	إلى مناظرة